مجلة بحوث
كليـــــــــــة الآداب

سلسلة إصدارات خاصة

من الفكر الدلالى عند العرب

قضايا ومسائل

إعـــــداد
د/ رمضان يوسف حسن رمضان
أستاذ أصول اللغة المساعد
جامعة الأزهر

ابريل ٢٠١٢

http : // Art.menofia . edu. eg *** E- mail: rjfa2012@ Gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبى العربى الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد...

فإن اللغة تتطور وتنمو وتتغير تبعاً للثقافات الفكرية فى كل زمان وعلى أى مكان وموضوعنا هذا فى بحث جديد يتسم بالموضوعية والمصداقية، حيث قمنا بدراسة تلك المعطيات والمكتسبات الجديدة والدلالات المكتسبة من الثقافات الفكرية المتنوعة على سبيل المثال لا الحصر لنثبت أن اللغة كائن حى تتأثر بما يحيط حولها من كائنات، ومن ينطق بها من أعضاء المجموعة الإنسانية الناطقة وتناولنا ذلك باختيار نماذج مختصرة على سبيل المثال لا الحصر حتى لا يطول موضوع بحثنا هذا وقد أتممت هذا البحث بمشيئة الله تعالى على النحو التالى :

المبحث الأول : مفهوم الدلالة اللغوية لدى اللغويين المحدثين وبينا العلاقة بين اللغة والفكر.

: من أساليب الارتقاء بالثراء اللغوى اللهجات العربية من خلال نماذج وأمثلة.

المبحث الثانى : من معطيات التطور اللهجى نماذج وأمثلة تطبيقية على سبيل المثال ذكرنا فى هذا المبحث نماذج وأمثلة لتلك المفردات التى أحدثتها وأنشأتها اللهجات العربية على سبيل المثال لا الحصر.

ثم تكلمنا عن خطأ الرواة فى النقل.

: من القراءات القرآنية ما يشير إلى اللهجات على المستوى الدلالى تكلمنا عن ذلك بذكر نماذج وأمثلة تطبيقية على سبيل المثال لا الحصر وبينا فى هذا المبحث إن اختلاف اللهجات أدى إلى وجود المترادفات اللغوية بينا ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

وفى **المبحث الثالث** : من معطيات السلب فى العربية وقد عرضنا صورة متنوعة للسلب فى العربية بين صفحات هذا المبحث وعرفنا أهميته اللغوية ودوره البارز فى إثراء الحياة اللغوية ثم أشرنا إلى الرمزية الصوتية وأثرها فى تحديد المعنى اللغوى.

المبحث الرابع : تكلمنا فيه عن جانب من المعايشة اللغوية للبيئة وذلك باختيار نماذج وأمثلة تطبيقية على سبيل المثال لا الحصر.

المبحث الخامس : تكلمنا فيه عن جانب من معطيات تصوير اللفظ لمعناه اللغوى فى العربية من خلال نماذج وأمثلة تطبيقية على سبيل المثال لا الحصر وذكرناه عدة نماذج وأمثلة لذلك.

المبحث السادس : تكلمنا فيه عن بيان علة تسمية الألفاظ بمسمياتها وعن دقة الألفاظ فى التعبير عن المعنى المراد شرحه من خلال نماذج وأمثلة توضيحية.

ثم تكلمنا عن رأى المحدثين فى هذا وذلك من خلال نماذج وأمثلة.

المبحث السابع : من معطيات الثقافة الفكرية وأثر ذلك فى إثراء العربية.

وذلك من خلال نماذج وأمثلة على سبيل المثال لا الحصر.

ثم عرضنا فى هذا المبحث نماذج وأمثلة لألفاظ قديمة ذات دلالات قديمة ثم تطورت بسبب التطور الثقافى ثم ذكرنا نماذج وأمثلة لما يتمثل فى الموروثات الأسطورية وكذلك أيضاً عرضنا نماذج وأمثلة لما يتمثل فى الجانب الدينى وذكرنا أيضاً فى هذا المبحث نماذج وأمثلة لجوانب أخرى من المعطيات.

ثم تكلمنا عن جانب من اهتمام اللغويين المحدثين بالأثر الثقافى ثم تكلمنا عن الرمز لدى علماء الدلالة المحدثين وتعريفه.

المبحث الثامن : من مسايرة معاجمنا لهذا التطور اللغوى فى ضوء علم اللغة الحديث من خلال نماذج وأمثلة.

ثم ذكرنا نماذج تطبيقية بنص من المعجم اللغوى لابن دريد المسمى بالجمهرة وذكرنا نصاً من الصحاح للجوهرى، ومن لسان العرب لابن منظور ومن القاموس المحيط للفيروزبادى على سبيل لمثال لا الحصر ثم ذكرنا نقد المحدثين لهذه المعاجم المذكور على سبيل المثال لا الحصر.

وهكذا نكون قد ختمنا موضوع بحثنا سائلين الله العلى القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يوفقنا لخدمة العربية لغة القرآن الكريم.

والله ولى التوفيق...

الباحث

أ.د/ رمضان يوسف حسن رمضان

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية

وآدابها بكلية الدراسات الإسلامية

والعربية – بجامعة الأزهر

المبحث الأول : مفهوم الدلالة اللغوية

لدى بعض رأى المحدثين

إن الحديث عن العوامل المؤثرة فى تطور الدلالة من مناحيها المختلفة كالتطور مع العصر أو أثر الحضارة والبيئة على تطور المعنى لابد وأن يسبقه تمهيد موجز عن علم الدلالة ونشأته والدراسات المختلفة التى تناولته والمحاولات الأولى التى درست هذا العلم الحديث، إن علم الدلالة هو قمة الدراسات اللغوية ولكنه مع ذلك أحدثها ظهوراً وذلك يرجع إلى قلة اهتمام اللغويين المحدثين بمشكلة المعنى اهتماماً علمياً. ففى كتاب على اللغة للدكتور السعران، يقول: إن أول دراسة علمية حديثة خاصة بالمعنى هى تلك التى قام بها ميشيل بريال فى كتابه " Essai de Semantique"

هذا المصطلح الذى أطلقه بريال على دراسته هذه هو كلمة " Semantique من وضع بريل نفسه فقد كان على بريال أن يسمى هذه الدراسة باسم يميزها عن سائر الدراسات اللغوية ولكن معنى Semantique عند بريال غير معناها الذى تعرف به الآن عادة ولو أن اللغويين الآن يعرفون هذا المصطلح تعريفات مختلفة.

لقد كانت الدراسة الدلالية عند بريال ومن جاء بعده بفترة غير قصيرة مقصورة على (الاشتقاق التاريخى) وأن بريال كان يرى فى الأصول التى تحكم تغير المعنى خصائص عقلية مجردة وذلك مثل (الحاجة إلى الوضوح) ولكن بريال ومن خلفه كانوا لا يعطون الجوانب الاجتماعية وغير الاجتماعية للظروف الإنسانية التى يحدث فيها التغير أى اهتمام (١).

لقد كان لدراسة بريال فى علم الدلالة أثرها فى لفت أنظار اللغويين إلى مشكلة المعنى أو إلى تغير بوجه خاص فازدادت رغبة اللغويين فى معرفة الأسباب التى تؤدى إلى تغير فى المعنى فأخذوا يبحثون فى تاريخ الحياة الثقافية للشعوب بحثاً عن الأسباب التى تؤدى إلى تغير فى معنى الكلمة، لقد جاء الباحثون أن ما تتعلق به الجماعات وما يكون لديها من مثل أعلى، وجدوا هذا كله يختلف باختلاف العصور.

ومن السهل أن نتتبع هذه الاختلافات على مر العصور، فمثلاً نجد أن متعلقات النبل

---

(١) علم اللغة : مقدمة للقارئ العربى صـ٣١٧ وما بعدها د. السعران.

والفروسية فى العصور الوسطى كانت تتجمع فى صورة رجل راكباً جواداً هو (الفارس).

فكان لهذه الكلمة أن أصبحت أصلاً لكلمات كثيرة هى النبل والشهامة والفروسية والشجاعة والقوة.

من هنا نرى أن إدراك اللغويين لضرورة تضمين ما يرتبط بالكلمات من معنى وما تستدعيه الكلمات عند دراسة تاريخها وتغير معانيها أخذ يزداد ويزداد.

ولو استعرضنا معاً كلمة (الفارس) فى عصرنا الحاضر لوجدناها تحمل معانى الشرف والنبل والشهامة والرجولة والشجاعة والقوة والبطولة الخ من المعانى النبيلة التى ترد على الخاطر عند ذكر كلمة فارس.

وإذا انتقلنا إلى كتابات غير اللغويين فى البحث عن دلالة المعنى نجد أن (أوجدن وريتشارد) قد كتبا كتاباً بعنوان " معنى المعنى " (١) ولقد ظهر هذا الكتاب بعد كتاب برييل بحوالى ست وعشرين سنة وأحدث أضعاف ما أحدثه كتاب برييل من تأثير لا سيما فى الدارسين للمسائل اللغوية، ومن اللغويين من يرى أن معنى المعنى ليس كما يوحى اسمه دراسة خالصة للمعنى من الناحية اللغوية، بل أنه يقدم نظرية فى المعرفة " (الابستمولوجيا) Epistemology " وأياً كان الأمر فإن مؤرخى الدراسات اللغوية يقررون أن هذا الاهتمام السائد بدراسة الدلالة منذ سنوات، لا سيما فى الولايات المتحدة الأمريكية، قد اثاره بوجه خاص كتاب (معنى المعنى).

والفائدة الكبرى التى أداها هذا الكتاب أن وضح ما تتصف به مشكلة طبيعة المعنى من تعقيد. وقد ألزم هذا الكتاب مؤلفين آخرين أن يدرسوا مشكلة المعنى من وجهات نظر مخالفة كما وضع الأستاذ (بردجمان) مثلاً، وتفسير أوجدن وريشاردز للمعنى يقوم على أساس (رياضى) (آلى)، المعنى عندهما يرتد إلى أربعة عناصر هى :-

القصد ، القيمة ، والمدلول عليه ، والإنفعال العاطفى.

ومن المحاولات التى ظهرت فى دراسة الدلالة تلك التى قام بها الأستاذ (ب، د،

---

(١) أنظر: س أولمان: دور الكلمة فى اللغة ترجمة د. كمال بشر صـ ٥٧ وما بعدها.

أنظر: على اللغة: مقدمة للقارئ العربى صـ ٣١٥ وما بعدها د. السعران.

بردجمان) وسماها (منطق الفيزياء الحديثة (١)). أو إخضاع الألفاظ للتجربة بين الأستاذ بردجمان للقارئ المبتدئ تلك

التغيرات الدلالية التى تطرأ على بعض الكلمات عندما يستعملها العالم المتخصص فى موضوع تخصصه. فكلمتان مثل " الزمان " و " المكان " من الكلمات اليومية المألوفة ولكن لكل من هذين المصطلحين عند الفيلسوف أو عالم الفيزياء مثلاً دلالة تختلف عن دلالته المألوفة فى الأحاديث اليومية.

إن مشكلة المعنى دفعت الأستاذ بردجمان إلى أن يقترح وسيلة جديدة فى " التعريفات " سماها (طريقة العمليات أو الإجراءات) وهذه الطريقة طبقها على أمثلة كثيرة فى كتاب آخر له هو " الفرد الذكى والمجتمع ". " The intelligent individua " مستخرجاً بها بعض المفهومات الاجتماعية، وقضية الأستاذ بردجمان هى: " أن التصور مرادف للعمليات (= للاجراءات) التى تختبره بها" وذلك كما تختبر الوزن فى المعمل.

وعندما طبق بردجمان هذه الطريقة على التصورات الاجتماعية اتضح أن نتائجه كانت مثبطة، فهو يقول لنا، إذا لم تستطيع أن تختبر تصورات مثل (الديمقراطية) و (الواجب) و (الأخلاق) بواسطة (عمليات) فهى إذن تصورات لا معنى لها ويجب طرحها. وهكذا لا يتبقى آخر الأمر إلا الدوافع المركزة حول (الأنا) دوافع الأفراد الذين يكونون المجتمع.

إن بردجمان عندما يتكلم عن علم الدلالة يبالغ فى إظهار أهمية (الأنا) ويهون من شأن تعاونه مع الآخرين.

وأنقد هنا نظرية بردجمان هذه لأنه اعتمد فيها أولاً على إخضاع الألفاظ للإختبارات أو العمليات كما سماها وبذلك يرفض كل الألفاظ المعنوية تقريباً لأنها حسب رايه لا تخضع للتجربة.

وأقول أن الإنسان كائن حى يتفاعل ويتعامل مع الآخرين وأن الفرد يعيش فى مجتمع ولابد أن يأخذ ويعطى هذا المجتمع، لأن هذه هى سنة الحياة فلابد من أن يتعاون السامع والمتكلم فى فهم بعضهم الآخر ولابد أن يخدم كلاً منهما الآخر عن طريق التعامل

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى د. السعران صـ ٣٢١.

التاريخية لها. وقد طبق هذا التمييز عند نظره في المعنى حرص على وجوب التفريق بين دراسة المعنى (وصفية) أى فى مرحلة معينة، أو حالة معينة تجرد من تاريخ لغة من اللغات وتدرس بغض النظر عما قبلها وعما بعدها من مراحل أو حالات وبين دراسة المعنى دراسة تطورية.

نرى هنا أن دى سوسير يريد أن يقطع الصلة المتصلة بين الألفاظ التى تستمر دون انقطاع بين الألفاظ على مر العصور فلو سلمنا معه جدلاً ودرسنا الألفاظ فى مرحلة معينة وبغض النظر عما قبلها وعما بعدها فإننا لا نستطيع أن نعرف تطور هذه اللفظة وكذلك تطور دلالتها إلا إذا رجعنا إلى العصر السابق الذى كانت مستعملة فيه وكذلك إلى العصر الذى تعيش فيه والعصر اللاحق الذى انتقلت إليه.

نقول أن دراسة دلالة الألفاظ دراسة متصلة وحلقة واسعة تنتقل فيها الألفاظ من عصر إلى عصر ومن حضارة على حضارة وهى فى كل مرحلة تكتسب دلالة جديدة ومعنى جديداً ومعنى هذا ليس انقطاع الألفاظ او انفصالها فى عصر عن آخر وإنما الدلالات الجديدة التى اكتسبتها هذه الألفاظ هى فقط التى نستعملها ونتعامل بها ولذلك يخيل إلينا انها بعيدة أو منفصلة عن العصور السابقة أو عن تاريخها اللغوى السابق.

وبعد فإن تغير المعنى كثيراً ما يلجأ إليه الإنسان فى حالة الضرورة ليسد النقص فى ثروته اللغوية، وليساير التطور الحضارى الذى يسير بسرعة دون أن ينظر إلى ما حوله.

بردجمان) وسماها (منطـق الفيزيـاء الحديثـة (١)). أو إخضـاع الألفـاظ للتجربـة بين الأستاذ بردجمان للقارئ المبتدئ تلك التغيرات الدلالية التى تطرأ على بعض الكلمات عندما يستعملها العالم المتخصـص فى موضوع تخصصه. فكلمتان مثل " الزمان " و " المكان " من الكلمـات اليوميـة المألوفة ولكن لكل من هذين المصطلحين عند الفيلسوف أو عالم الفيزياء مثلاً دلالـة تختلف عن دلالته المألوفة فى الأحاديث اليومية.

إن مشكلة المعنى دفعت الأستاذ بردجمان إلى أن يقترح وسـيلة جديـدة فـى " التعريفات " سماها (طريقة العمليات أو الإجراءات) وهذه الطريقة طبقها على أمثلة كثيرة فى كتاب آخر له هو " الفـرد الـذكى والمجتمـع ". " The intelligent individua " مستخرجاً بها بعض المفهومـات الاجتماعيـة، وقضـية الأسـتاذ بردجمان هى: " أن التصور مرادف للعمليات (= للاجراءات) التى تختبـره بهـا" وذلك كما تختبر الوزن فى المعمل.

وعندما طبق بردجمان هذه الطريقة على التصـورات الاجتماعيـة اتضـح أن نتائجه كانت مثبطة، فهو يقول لنا، إذا لـم تسـتطيع أن تختبـر تصـورات مثـل (الديمقراطية) و (الواجب) و (الأخـلاق) بواسـطة (عمليـات) فهـى إذن تصورات لا معنى لها ويجب طرحها. وهكذا لا يتبقى آخر الأمر إلا الدوافع المركزة حول (الأنا) دوافع الأفراد الذين يكونون المجتمع.

إن بردجمان عندما يتكلم عن علم الدلالة يبالغ فى إظهار أهمية (الأنا) ويهون من شأن تعاونه مع الآخرين.

وأنقد هنا نظريـة بردجمان هذه لأنه اعتمد فيها أولاً علـى إخضـاع الألفـاظ للإختبارات أو العمليـات كما سماهـا وبذلك يرفض كل الألفاظ المعنويـة تقريبـاً لأنها حسب رايه لا تخضع للتجربة.

وأقول أن الإنسان كائن حى يتفاعل ويتعامل مع الآخرين وأن الفرد يعيش فـى مجتمع ولابد أن يأخذ ويعطى هذا المجتمع، لأن هذه هى سنة الحياة فلابـد مـن أن يتعاون السامع والمتكلم فى فهم بعضهم الآخر ولابد أن يخدم كلاً منهما الآخر عـن طريق التعامل

---

(١) علم اللغة مقدمة للقارئ العربى د. السعران صـ ٣٢١.

والتعـــاون ولابد إذن أن يكون هناك معان جديدة قد ظهرت عـن طريـق هـذا التعاون وليس من الضرورى أن تخضع هذه المعـانى للإجراءات أو العمليات كمـا سماها بردجمان (١).

إن الدلالة ومعنى الدلالة وتطور الدلالة خاضعة للمجتمع للفرد للإنســان هـذا الإنسان هو الذى يعطيها دلالة جديدة وهو الذى يطورها وهو الذى يسـتعملها لـذلك فإننا ننقد نظرية بردجمان هذه خاصة أنها تخضع الألفاظ للاختبار أو للإجراءات كما يحلو له أن يسميها وخاصة من حيث التطور الدلالى، وإن كنت أؤيد إلى حـد مـا رأى ريتشاردز واجدان فى كتابهما (معنى المعنى) خاصة وأنهما أرجعـا تفسـير المعنى إلى العناصر الأربعة السالفة الذكر فإننى أجد نوعاً من إشراك الإنسان ومـن أثر المجتمع فى تطور الدلالة وفى معرفة المعنى.

وبعد أن استعرضنا نظرية بريل واجدن وبردجمان فى تطور المعنى ودلالتـه نرى أنه لابد من مناقشة نظرية (دى سوسير) وخاصـة أن كثيـرين قـد تـأثروا بنظريته.

يبنى دى سوسير نظريته الاجتماعية فى اللغة على أسـاس نظريـة دوركـايم الاجتماعية، ودوركايم يعتبر ما يسميه (نشاط الجماعة) أو (النشـاط الجمـاعى) مستقلاً عن أى فرد من الأفراد الذين ينتمون إلى المجتمع (٢).

إن للفرد عند دوركايم وجوداً خاصاً به، ودوركايم يقرر أن الظواهر الاجتماعية ذات وجود خاص بها، واللغة ظاهرة من جملة هذه الظـواهر الاجتماعيـة، ويـرى دوركايم أن الخصائص السلوك أو (سماته) وجوداً مستقلاً، وأن الأنـواع العامـة للسلوك الاجتماعى لا تعدو أن تكون تعميمات وأن ما قرره " دوركايم " عن الظاهرة الاجتماعية يصدق على اللغة فىنظرية دى سوسير اللغوية. ويصـطنع دى سوسـير (ثالوثاً) خاصاً به يتضمن تصورات ثلاث متكاملة.

- إن ما يسميه دى سوسير La Langage " اللغة " هو اللغة فى أوسع معانيهـا أى اللغة باعتبارها ظاهرة إنسانية عامة.

---

(١) علم اللغة: مقدمة للقارئ العربى د. السعران صـ ٣٢٧.

(٢) علم اللغة: مقدمة للقارئ العربى د. السعران صـ ٣٢٨.

- أما ما يدعوه La Langage (اللغة المعينة: ى العربيـــة أو الأنجليزيـــة .. الخ) فهو يضم على وجه الخصوص نظام المفردات والنحو فى أى عصر من عصور تاريخ لغة معينة، Langue أى هذه اللغة أو تلك عند دى سوسير " جماعية " أو" اجتماعية ".

- أما التصور الثالث الذى يعبر عنه " دى سوسير " بكلمة Le Langue وتحقيقـه إياها عن طريق الأصوات الملفوظة أو عن طريق العلامات المكتوبة وما يـدعوه سوسير Le Langue (الكلام) فردى هو واقع تحت سيطرة الفرد.

- يفرق دى سوسير بين ما يسميه" القيمة اللغوية للكلمة وبين ما يسميه (المقصـــود) من الكلمة ويكفى لدراسة القيمة اللغوية فى رأيه أن ندرس عنصرين هما (الفكرة) التى تدعو إلى" صورة سمعية" أو أصواتاً معينة" والصورة السمعية التى تـدعو" الفكرة (١).

إن معنى كلمة من الكلمات عند دى سوسير هو ارتباط متبادل أو علاقة متبادلة بين الكلمة (أو الاسم) وهى " الصورة السمعية " وبين " الفكرة ".

إن الكلمة "علاقة لغوية" ونحن عندما نفرق تفريقاً اساسياً بين فكـرتين فـنحن نستعمل لذلك "علامتين لغويتين" مختلفتين، فالتفكير دون كلمات (عـائم) ويـرى دى سوسير أن العلاقة اللغوية لا تخلق وحدة بين أسم ومسمى، ولكن بين فكرة وصـورة سمعية. والمقصود يقابل الرمز أو "العلامة" والعلامة من ناحية أخرى تقابـل سـائر العلامات الموجودة فى اللغة موضوع الدرس. وقيمة كل رمز أو علامته تتوقف على وجود سائر الرموز.

وضرب دى سوسير لذلك مثلاً بقطعة من ذات الخمسة فرنكات: هـذه القطعـة يتأتى استبدالهـا بكلمة معينة من شئ مختلف كالخبز مـثلاً، ونسـتطيع كـذلك أن نقارنها بقيمة مماثلة من نفس نظام العملة، كقطعة ذات فرنك واحد مثلاً أو قطعة من عملة إخرى كالدولار (٢).

وأن دى سوسير كان صاحب فكرة تمييز الدراسة الوصفية للغة من الدراسة

---

(١) علم اللغة: مقدمة للقارئ العربى د. السعران صـ ٣٣٠.

(٢) المرجع السابق صـ ٣٣٠ – ٣٣١.

التاريخية لها. وقد طبق هذا التمييز عند نظره فى المعنى حرص على وجوب التفريق بين دراسة المعنى (وصفية) أى فى مرحلة معينة، أو حالة معينة تجرد من تاريخ لغة من اللغات وتدرس بغض النظر عما قبلها وعما بعدها من مراحل أو حالات وبين دراسة المعنى دراسة تطورية.

نرى هنا أن دى سوسير يريد أن يقطع الصلة المتصلة بين الألفاظ التى تستمر دون انقطاع بين الألفاظ على مر العصور فلو سلمنا معه جدلاً ودرسنا الألفاظ فى مرحلة معينة وبغض النظر عما قبلها وعما بعدها فإننا لا نستطيع أن نعرف تطور هذه اللفظة وكذلك تطور دلالتها إلا إذا رجعنا إلى العصر السابق الذى كانت مستعملة فيه وكذلك إلى العصر الذى تعيش فيه والعصر اللاحق الذى انتقلت إليه.

نقول أن دراسة دلالة الألفاظ دراسة متصلة وحلقة واسعة تتنقل فيها الألفاظ من عصر إلى عصر ومن حضارة على حضارة وهى فى كل مرحلة تكتسب دلالة جديدة ومعنى جديداً ومعنى هذا ليس انقطاع الألفاظ او انفصالها فى عصر عن آخر وإنما الدلالات الجديدة التى اكتسبتها هذه الألفاظ هى فقط التى نستعملها ونتعامل بها ولذلك يخيل إلينا انها بعيدة أو منفصلة عن العصور السابقة أو عن تاريخها اللغوى السابق.

وبعد فإن تغير المعنى كثيراً ما يلجأ إليه الإنسان فى حالة الضرورة ليسد النقص فى ثروته اللغوية، وليساير التطور الحضارى الذى يسير بسرعة دون أن ينظر إلى ما حوله.

المبحث الثانى : جانب من معطيات الحياة اللهجية
من خلال نماذج وأمثلة على سبيل المثال لا الحصر

لقد تعرضت اللغة العربية للتطور مثل سائر اللغات الحية وتقلبت على أحوال شتى فتنوعت ألفاظها بالنحت والابدال الاشتقاق والمجاز، ودخلها كثير من الألفاظ الأعجمية فى أعصر مختلفة قبل أن تدون وتضبط فى أزمته لم يدركها التاريخ.

وإنما نستدل على ذلك من درس ألفاظها ومقابلتها بأخواتها وغيرها. واللغة العربية التى وصلت إلينا هى اللغة المشتركة فى الجزيرة العربية وكانت قبل الإسلام لهجات عدة تعرف بلهجات القبائل وبينها اختلاف فى اللفظ كلهجات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور.

" اختلاط الأمم والشعوب "

لقد كان أهل مكة من قريش أهل تجارة وسفر شمالاً إلى الشام والعراق ومصر وجنوباً إلى بلاد اليمن وشرقاً إلى الخليج العربى وما وراءه وغرباً إلى الحبشة فضلاً عما كان يجتمع حول الكعبة من الأمم المختلفة وفيهم الفرس والأنباط واليمنية والأحباش. والمصريين، غير الذين كانوا ينزحون إليها من جالية اليهود والنصارى، فدعا ذلك كله إلى ارتقاء اللغة بما تولد فيها أو دخلها من الألفاظ مما لا مثيل له فى اللغات الأخرى، وزاد ذلك الاقتباس خصوصاً بالنهضة التى حدثت فى القرنين الأول والثانى قبل الإسلام بنزول الحبشة والفرس فى اليمن والحجاز على أثر استبداد ذى نواس ملك اليمن وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن فى القرن الخامس الميلادى وخصوصاً أهل نجران، فطلب إليهم اعتناق اليهودية فلما أبو قتلهم حرقاً وذبحاً، فاستنجد بعضهم بالحبشة فحمل الأحباش على اليمن وفتحوها ثم أنف أحد أمرائها (ذى يزن) فاستنجد الفرس ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا بأهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا وكانو يفدون إلى الحجاز وأهل الحجاز يترددون إليهم (١).

مما تقدم يتبين لنا أن العوامل المختلفة التى مرت على العرب فى الجزيرة العربية كانت مؤثرة بهم وما حدث من ظهور لهجات مختلفة فى الجزيرة العربية كان هذا التأثير

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية: جورجى زيدان جـ صـ ٤٣.

إن الاحتكاك بين اللغات أمر لابد منه نظراً لتطور الحضارة وتنوع المصـــادر التى تؤثر فى حياة الإنسان، وان هذا الاحتكاك بين اللغات يعد من أهم الأسباب التى تؤدى إلى نشأة اللهجات (١).

وإن فندريس يقول (إن تطور اللغة المستمر فى معزل عن كل تأثير خـــارجى يعد أمراً مثالياً لا يكاد يتحقق فى أية لغة. بل على العكس من ذلك فإن الأثـــر الـــذى يقع على لغة ما من لغة مجاورة لها، كثيراً ما يلعب دوراً هاماً فى التطور اللغـــوى (٢).

وفى التاريخ شواهد كثيرة على أثر هذا الصراع اللغوى، فاللهجات العربية التى انتشرت فى البلاد الإسلامية بعد الفتح دليل عليه، ولهجات العامية الحالية مظهر من مظاهر الاحتكاك اللغوى (٣).

من الحقائق المقررة أن اللغة إذا " كانت واحدة فهى متعددة بتعدد الأفراد الـــذين يتكلمونها، ومن المسلم به أن لا يتكلم شخص بصـــورة واحـــدة لا تفتـــرق " (٤). واختلاف الأفراد فى النطق يؤدى مع مرور الزمن إلى نشأة لهجـــة علـــى جـــوار اللهجات.

---

(١) اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس صـــ ٢٠.

(٢) اللغة لفندريس صـــ ٣٤٨.

(٣) اللهجات العربية د. عبده الراجحى صـــ ٣٨.

(٤) اللغة لفندريس صـــ ٢٩٥.

جانب من معطيات التطور اللهجى

من خلال نماذج وأمثلة تطبيقية على سبيل المثال لا الحصر

يمكن أن يلحق بهذا (خطأ الأطفال) و (القياس الخاطئ) فكثيراً ما نسمع الأطفال يقولون (أحمره وأخضره وأصفره) عن (أحمد وأخضر وأصفر) فإذا ما ترك الأطفال دون تقويم لسانهم يمكن لهذه الألفاظ مع مرور الزمن أن تصبح عادات لهجية، ويمكن أن نضع فى هذا المجال ما روى من أن لهجة تميم فى بناء إسم المفعول من الأجوف على مفعول فيقولون " مبيوع ومديون " قياساً على الفعل الصحيح (١).

فاللهجات العربية التى كانت منتشرة فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام لا تختلف أسباب وجودها عن هذه الأسباب العامة التى ذكرناها فى نشأة اللهجات فنى أن البيئة الجغرافية للجزيرة العربية واسعة ومترامية الأطراف، ونجد أن الطبيعة تختلف فيها من منطقة إلى منطقة فنجد السهول والوديان والصحراء الشاسعة والجبال العالية، ونجد البدوى يستقر فى المكان الذى يجد فيه الماء والعشب أو فى مكان يعتبر ملتقى قوافل ومجموعات من مكان لآخر طلباً للماء والكلأ، وهاجر من هاجر من أهل اليمن إلى وسط شبه الجزيرة وشرقها وشمالها، وهاجر من هاجر من الحجاز إلى اليمن.

وتجاورت لهجات مع لهجات ومع لغات أخرى، فلهجات القبائل العربية التى كانت تنزل بداية الشام أو العراق مثلاً كانت تجاور لغات كالأرامية والعبرية. والاحتكاك معها أدى إلى ظهور لهجات متعددة.

ونحن نعلم أن اللغة العربية لم تكن لغة متوحدة توحداً كاملاً بل كانت لها لهجات كثيرة تختلف فيما بينها اختلافاً يكبر أو يصغر حسبما يكون بينهما من تقارب أو تباعد لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها فيما يعن لهم من فن أو من جد القول (٢).

---

(١) اللهجات العربية د. عبده الراجحى.

(٢) نفسه صـ ٤٠.

لقد اتفق القدماء تقريباً على أن لهجة قريش هى أعلا اللهجات العربية وأفصحها وهى التى سادت الجزيرة العربية قبل الإسلام.

يقول ابن فارس: " أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحلهم أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبى الرحمة محمد (ﷺ) فجعل قريشاً قطان حرمة، وجيران بيته الحرام وولاته، فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش فى أمورهم. وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكم بينهم. وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغتها ورقة ألسنتها إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم واشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب (١).

ويقول السيوطى فى المزهر " ارتفعت قريش فى الفصاحة عن عنعنة تميم وتلتلة بهراء وكسكسة ربيعة وكشكشة هوازن وتضجيع قيس وعجرفية ضبة (٢).

يتضح لنا من هذا أن لغة قريش كانت السائدة فقريش منها النبى (ﷺ) ولهجتهم كما يقول القدماء خالية من العيوب التى ذكرناها.

ويقول الدكتور عبده الراجحى فى اللهجات العربية:

" والذى لا شك فيه عندنا أن سبباً واحداً هو الذى جعل لهجة قريش هى المفضلة، ذلك أن النبى (ﷺ) قريشى أما إن قريشاً لهم نحائزهم وسلائقهم التى طبعوا عليها، فتلك مسالة يرفضها الدرس اللغوى الصحيح.

إذ أنه – كما يقول سابير – لا معنى لأن نقول أن هناك لغة – مهما تكن – أكثر فصاحة أو أكثر ارتباطاً من لغة أخرى، قد تكون أكثر تعقيداً أو أكثر صعوبة (٣).

ولن أخوض فى تفضيل لهجة قريش عن غيرها من اللهجات لأن مجال البحث هو اللهجات العربية وأثرها فى نمو اللغة وإثرائها وهذا ما أحدده لنفسى فى هذا البحث حتى لا آتيه مع الآراء المختلفة حول لهجة قريش وغيرها من حيث التفضيل.

---

(١) الصاحبى فى فقه اللغة ابن فارس صـ ٢٣.(٢) المزهر فى علوم اللغة للسيوطى جـ١ صـ ١٢٨.

(٣) اللهجات العربية د. عبده الراجحى صـ ٤٢.

أياً ما كان الأمر فإن الجزيرة العربية كان بها لهجات متعددة تنتسب كل لهجة إلى أصحابها وهذا ما ذكرناه من قبل نتيجة لأسباب نشأة اللهجات وإلى جانب هذه اللهجات العربية كانت هناك لغة مشتركة تكونت على مر الزمن وهذه اللغة لا تنتسب إلى قبيلة أو بطن من بطون قريش أو الجزيرة العربية وإنما تنتسب إلى العرب جميعاً. ما دامت النصوص الشعرية والنثرية لا تكاد تختلف فيما بينها وهذه النصوص ليست قرشية أو تميمية أو هذيلة فقط، بل هى من قبائل مختلفة، مما يدل على أن هذه اللغة المشتركة هى التى كان الأدباء والشعراء يصطنعونها فى فنهم القولى (١).

ومع وجود هذه اللغة المشتركة احتفظت اللهجات المختلفة ببعض خصائصها فقريش لها خصائصها اللهجية كما ان تميم، ولطئ أو لغيرها خصائصها اللهجية. ولقد دخل كثير من هذه الخصائص اللغة الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم (٢).

نماذج وأمثلة

يقول الصاحبى فى فقه اللغة (٣): أما (العنعنة) التى تذكر عن (تميم) – فقلبهم الهمزة فى بعض كلامهم عيناً، يقولون (سمعت عن فلان قال كذا) يريدون (أن). وروى فى حديث (قيله) " تحسب عنى نائمة " قال (أبو عبيد) أرادت تحسب أنى، وهذه لغة تميم. قال ذو الرمة:-

أعن ترسمت من خرقاء منزله

ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد " أن " فجعل مكان الهمزة عيناً.

وأما (الكشكشة) التى فى (أسد)، فقال قوم: إنهم يبدلون الكاف شينا فيقولون (عليش) بمعنى (عليك) وينشدون:

---

(١) اللهجات العربية د. عبده الراجحى صـ ٤٢.

(٢) المرجع نفسه، صـ ٤٩.

(٣) الصاحبى فى فقه اللغة صـ ٢٤.

فعيناش عيناها وجيدش جيدها،

ولونش – إلا انها غير عاطل

وقال آخرون: يصلون بالكاف شينا، فيقولون (عليكش).

وكذلك (الكسكسة) التى فى ربيعة – إنما هى أن يصلوا بالكاف سينا فيقولون " عليكس ".

حدثنى على بن أحمد الصاحبى، قال سمعت (ابن دريد) يقول:

حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة، فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها.

فمن تلك الحروف الذى بين الباء والفاء مثل (بور) إذ اضطروا، فقالوا: " فور "

ومثل الحرف الذى بين القاف والكاف والجيم – وهى لغة سائرة فى اليمن – مثل " جمل " إذا اضطروا قالو " كمل " (١).

قال: والحرف الذى بين الشين والجيم والياء: فى المذكر " غلامج " وفى المؤنث " غلامش ".

فأما بنو تميم " فإنهم يلحقون القاف بالهاء حتى تغلظ جداً فيقولون " القوم فيكون بين الكاف والقاف، وهذه لغة فيهم. قال الشاعر:

ولا أكول لكدر الكوم: قد نضجت

ولا أكول لباب الدار: مكفول

وكذلك الياء تجعل جيماً فى النسب، يقولون " غلامج " أى " غلامى ". وكذلك الياء المشددة تحول جيماً فى النسب، يقولون " بصرج " و(كوفج) قال الراجز:

خالى عويف وأبو علج

المطعمان للحك بالعشج

والغداة فلق البرنج

وكذلك ما أشبهه من الحروف المرغوب عنها. كالكاف التى تحول شيئاً.

وأما من زعم أن (ولد اسماعيل) (عليه السلام) يعيرون (ولد قحطان) أنهم ليسوا

---

(١) الصاحبى: فقه اللغة صـ ٢٥.

عرباً، ويحتجون عليهم بأن لسانهم (الحميرية) وأنهم يسمون اللحية بغير أسمها – مع قوله تعالى " لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ".

وإنهم يسمون الذيب (القلوب) مع قوله تعالى " وأخاف أن يأكله الذئب " ويسمون الأصابع (الشناتر) وقد قال تعالى " يجعلون أصابعهم فى آذانهم " وما أشبه هذا. فليس اختلاف اللغات قادحاً فى الأنساب (١).

ونحن وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات، فلسنا ننكر أن يكون لكل قوم لهجة مع أن (قحطان) تذكر أنهم (العرب العاربة) وأن من سواهم (العرب المستعربة) وأن إسماعيل (عليه السلام) بلسانهم نطق ومن لغتهم أخذ، فليس هذا موضع مفاخرة.

ونورد هنا بعض أوجه الاختلاف فى اللهجات العربية.

أحدها – الاختلاف فى الحركات كقولنا (نستعين) و (يستعين) بفتح النون وكسرها، قال (الفراء) هى مفتوحة فى لهجة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بكسر النون.

والوجه الآخر – الاختلاف فى الحركة والسكون مثل قولهم (معكم) و (معكم) أنشد الفراء:

ومن يتقى فإن الله معه

ورزق الله مؤتاب وغاد

ووجه أخر – هو الاختلاف فى إبدال الحروف نحو (أولئك) و (ألا لك) أنشد الفراء: ألا لك قومى لم يكونوا أشابه وهل يعظ الضليل ألالكا؟

ومنها – قولهم " أن زيداً " و " عن زيداً "

ومن ذلك – الاختلاف فى الهمز والتليين نحو (مستهزؤن) و (مستهزون). ومنه الاختلاف فى التقديم والتأخير نحو (صاعقة) و (صاقعة). ومنها الاختلاف فى الحذف والإثبات نحو (استحييت واستحيت): و(صددت) و (أصددت) (٢).

ومنها الاختلاف فى الحرف الصحيح يبدل حرفاً معتلاً نحو " أما زيد "و" أيما زيد ".

---

(١) فقه اللغة: الصاحبى صـ ٢٥ مطبعة المؤيد سنة ١٩١٠م.

(٢) فقه اللغة: الصاحبى صـ ١٩.

ومنها الاختلاف فى الإمالة والتفخم فى مثل " قضى و " و " رمـــى " فبعضـــهم يفخم وبعضهم يميل.

ومنها الاختلاف فى الحرف الساكن يستقبله مثله، فمنهم من يكسر الأول ومنهم من يضم فيقولون " اشتروا الضلالة " و (اشتروا الضلالة).

ومنها الاختلاف فى التذكير والتأنيث فإن من العرب من يقول (هـــذه البقـــر) ومن يقول (هذا البقر) و (هذه النخيل) و (هذا النخيل).

ومنها الاختلاف فى الإدغام نحو " مهتدون " و " مهدون ".

ومنها الاختلاف فى الإعراب نحو " ما زيد قائماً " و " ما زيد قائم ".

و " إن هذين " و " إن هذان " وهى بالألف لهجة بنى الحارث بن كعب.

ومنها الاختلاف فى صورة الجمع نحو (أسرى) و (أسارى).

ومنها الاختلاف فى الوقف على هاء التأنيث مثل (هذه أمة)، (وهذه أمـــت) ومنها الزيادة نحو (أنظر) و (أنظور) أنشد الفراء:

الله يعلم أنا فى تلفتنا يوم الفراق إلى جيراننا- صور

وإننى حيث ما يثنينى الهوى بصرى من حيث ما سلكوا - أدنو فأنظروا (١).

ومنها التضاد، روى أن (زيد بن عبد الله بن دارم) وفد على بعـــض ملـــوك حمير فسلم عليه وانتسب فقال له الملك " ثب " أى اجلس. وظن الرجل أنـــه أمـــره بالوثوب أى القفز، فقال لتجدنى أيها الملك مطواعاً، ثم وثب فمات، فقال الملـــك مـــا شأنه: فأخبروه بقصته وغلطة فى الكلمة، فقال، ليست عربيتهم بعربيتنا مـــن ظفـــر حمر، أى من دخل ظفار فليتكلم الحميرية.

وبعد أن أوردنا هذه الاختلافات فى اللهجات نعود إلى صلب بحثنا وهو: " أثـــر تعدد هذه اللهجات فى تطور الألفاظ ودلالتها ".

ويرجع الدكتور ابراهيم أنيس العوامل التى أثرت فى بنية الكلمة والتى دعـــت إلى اختلافها إلى العوامل التالية:

- قبائل تميل إلى صوت لين خاص، وهذا لا يكون إلا فـــى الاختيـــار بـــين الكسرة والضمة، لأن كلاً منهما صوت لين ضيق.

---

(١) الصاحبى فى فقه اللغة صـــ ٢٢.

وعلى هذا إذا روى لنا أن فعلاً من الأفعال الثلاثية الصحيحة جاء من باب (ضرب ونصر) رجحنا أن إحدى القبائل كانت تنطق به من باب (ضرب) والأخرى من باب (نصر).

- الميل إلى نسج خاص فى مقاطع الكلمة، فبعض القبائل تؤثر المقاطع الساكنة على المقاطع المتحركة، ومن هذه قبيلة (تميم) التى روى عنها أنها كانت تؤثر تسكين وسط الكلمة المتحرك. وإلى هذه القبيلة يمكن أن ننسب تلك اللهجة التى تجوز تسكين عين الفعل الماضى الثلاثى، فيقول فى (كتب) (كتب).
- ميل القابئل المتحضرة إلى تحقيق كل أصول الكلمة، وإعطاء كل صوت حقه فى النطق، فى حين أن القبائل البدوية تميل إلى تأثر الصوات بعضها ببعض. ومثل هذا يؤدى إلى اختلاف بنية الكلمة الواحدة بين هذين النوعين من القبائل.
- والعامل الهام فى هذه العوامل هو اخطاء الأطفال وما يترتب عليها:-
  - قد يصعب على الطفل تقليد الكبار فى نطقهم لكلمة من الكلمات ثم يهمل أمر هذا الطفل فينشأ على الخطأ وتصبح الكلمة ذات صورة جديدة فى لهجته.
  - قد يخطئ الطفل فى سمع الكلمة فيرتب أصواتها ترتيباً مختلفاً، وتصبح فيما بعد ذات وضع مختلف عن الكلمة الأصلية.
  - قد يقيس الطفل قياساً خاطئاً فيشتق وضعاً جديداً غير معروف فى لهجة آبائه ثم يصبح هذا الوضع معترفاً به بين أبناء جيله (١).

ويمكن أن نضيف إلى ما تقدم عامل آخر هو احتمال خطأ الرواة فى النقل ولا سيما بعد تدوين اللغة، وذلك الخطأ الذى سماه القدماء بالتصحيف، ولنا عودة خاصة لهذا النوع من التغير فى بنية الكلمة.

وقد روى ابن جنى أمثلة لكلمات مختلفة البنية مثل:-

بغداد، وبغدان، مغدان، وطبرزل، وطبرزن(٢).

---

(١) اللهجة العربية د. إبراهيم أنيس صـ ١٢٤ وما بعدها.

(٢) ابن جنى: الخصائص جـ١ صـ٣٧٢. يقال سكر طبرزل، وطبرزن. وهو السكر الأبيض، واللفظ معرب من الفارسية.

وقالوا للحية: أيم وأين، واعصر ويعصر.

ورغوة اللبن ورغوته، ورغوته ورغاوته، ورغاوته، ورغايته.

وكقولهم: الذرح، والذرح، والذريح، والذراح، والذرح، والذرنوح (١).

ومن على، ومن هلاء ومن علو، ومن علو، ومن علو، ومن علو، ومن عـال، ومن معال. فإذا أرادو النكرة قالوا من عل (٢).

ويقول ابن جنى: وكلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بـأن تكون لهجات لجماعات، اجتمعت لإنسان واحد، ورويت عن الأصمعى قال: " اختلف رجلان فى الصقر، فقال أحدهما: (بالصاد) وقال الآخر: السقر (بالسين) فتراضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال: لا أقول كما قلتما، إنما هو الزقر.

أفلا ترى إلى كل واحد من الثلاثة كيف أفاد فى هذه الحال إلى لهجته لهجتـين أخريين معها. وهكذا تتداخل اللهجات.

ومن هذا يتضح لنا كيف يمكن اجتماع اللهجتين، واللهجات فى كلام الواحد من العرب.

ولن أستطرد فى الكلام عن اللهجات وأنواعها وقبائلها لأن الكلام عنـا يطـول ويطول، ويحتاج إلى مجلدات وهذا ليس من صلب بحثنا وإنما بحثنـا يتركـز كمـا ذكرت على عامل هام هو أثر هذه اللهجات فى تطور معانى الألفاظ ودلالتها.

إن التطور الدلالى يحدث تدريجياً وحسب تطور الحياة الاجتماعية، لكنه ينتهـى فى الغالب إلى تغير فى المعنى. ولقد حاول كثير من اللغويين أن يحصروا ما يطرأ على المعنى من تغيرات فى أنواع التغير الانحطاطى والمتسـامى، والتغيـر نحـو تخصيص المعنى، أو تعميمه، أو نحو الضد (٣).

ولكن إذا كانت هذه التغيرات غالباً ما تكون خاضعة للتغير الاجتماعى فإن من أسباب هذا التغير اختلاف اللهجات فى اللغة الواحدة وهذا ما نجده فى لغتنا العربيـة من (الترادف) و (المشترك) و (الأضداد) مما يجعلنا أن نقول أن السبب فـى ذلك هو اختلاف القبائل فى استعمال الألفاظ.

---

(١) المرجع السابق صـ ٣٧٣: الذرح: هو دويبه أعظم من الذباب شيأ.

(٢) المرجع السابق صـ ٣٧٤. (٣) دلالة الألفاظ د. إبراهيم أنيس صـ ١٤٨، صـ ١٥٥.

جانب من القراءات القرآنية التى تشير إلى اللهجات على المستوى الدلالى من خلال نماذج وأمثلة على سبيل المثال لا الحصر

" والآن هل نجد فى القراءات القرآنية ما يشير إلى فروق لهجية على المستوى الدلالى؟ والحق أننا لا نجد من هذا الضرب إلا كلمات قليلة وكلها من القراءات الشاذة، وذلك أمر طبيعى إذ إن القراءات لم تكن تختلف فى اللفظة ذاتها بل كانت تختلف فيها من ناحية آدائها ومعظم هذه الاختلافات على ما رأيت اختلافات صوتية.

وكما نعلم أنه يجب أن نرجع الاختلافات هذه إلى الصرف والصوت والدلالة والنحو، فإذا كانت القراءات القرآنية واختلاف الصوت فيها أحد هذه العوامل فإن العوامل الأخرى مكملة لها. وبهذا نجد أن الاختلاف فى ألفاظ بعض لهجات القبائل يرجع إلى الاختلاف فى الصرف والنحو والدلالة بالإضافة إلى الاختلاف فى الصوت. كما وجدنا فى القراءات القرآنية المختلفة.

ونعرض هنا نماذج من الاختلاف فى القراءات القرآنية حسب ما أوردها الدكتور الراجحى:-

١- قرأ الجمهور " فول وجهك شطر المسجد الحرام " وقرأ ابن أبى عبلة: (فول وجهك تلقاء المسجد الحرام).

هذه القراءة تقدم لنا لفظتين بمعنى واحد، وهما (شطر) و (تلقاء) ويذكر أبو عبيد أن التلقاء معناها (النحو) فى لهجة كنانة.

فنحن إذن أمام لفظتين مترادفتين تؤديان معنى واحداً وهو النحو والقصد.

ويقول الدكتور الراجحى " أن لفظة (شطر) معناها المعجمى ونصف الشئ، وهو ما نظنه الأصل الأول لمعانى هذه اللفظة، ثم كان من معانيها المتطورة بعد ذلك النحو أو القصد ".

وأما اللفظة الثانية (تلقاء) فنحسب أن المعنى الأصل لها مأخوذ عن (اللقوة) وهى داء يكون فى الوجه يعوج منه الشدق فكان تلقاء مأخوذة من اتجاه الوجه فى ناحية بعينها.

ولنرى الآن استعمال اللفظتين فى القرآن:

١- " فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام " البقرة ١٤٤.

٢- " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام " البقرة ١٤٩.

٣- " ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام " البقرة ١٥٠.

٤- " وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره " البقرة ١٤٤.

٥- " وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره " البقرة ١٥٠.

ووردت تلقاء فى ثلاثة مواضيع:-

١- " وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا " الأعراف ٤٧.

٢- " قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى " يونس ١٥.

٣- " ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل " القصص ٢٢.

ويبدو لنا من هذه الاستعمالات القرآنية أن لفظة (شطر) أخص من (تلقاء) إذ من الواضح أن الأولى مستعملة فى المواضع كلها مع الفعل (ولى) وع (الوجه) (وجهك أو وجوهكم) بينما استعملت (تلقاء) استعمالات مختلفة بغير هذا التحديد ولم نعثر فى استعمال آخر على (شطر) مسبوقة بحرف جر كما استعملت (تلقاء) كذلك (من تلقاء نفسى).

وإذا كان صحيحاً ما ذكره أبو عبيد من أن (تلقاء) معناها النحو فى لهجة كنانة، فنحن نعرف أن كنانة من القبائل الحجازية التى كانت تجاور قريشا (١).

قرأ الجمهور " أنى أرانى أعصر خمراً " وقرأ ابن مسعود " أعصر عنباً " (٢). وهذه القراءة تقدم لنا لفظتين الأولى (خمراً) فيقول عنها البلاغيون أنها نوع من المجاز وهو تسمية الشئ باسم ما يؤل إليه. وأما الثانية (عنباً) فاستعمال اللفظة على وجه الحقيقة، ولكن أبو عبيد يذكر أن لفظة (خمر) إنما لهجة فى العنب، ويقول أنها لهجة عمان.

ولقد استعملت لفظة (خمر) فى القرآن فى أربعة مواضع:

- " يسألونك عن الخمر والميسر " البقرة ٢١٩.

- " إنما الخمر والميسر وانصاب والأزلام " المائدة ٩١.

---

(١) اللهجات العربية د. عبده الراجحى صـ ١٩٦-١٩٧.

(٢) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية د. عبده الراجحى صـ ١٩٧.

- " وأنهار من خمر لذة للشاربين " محمد ١٥.
- " قال أحدهما إنى أرانى أعصر خمراً " يوسف٣٦.

وواضح من هذه الآيات أن اللفظة قد استعملت على حقيقتها فى المواضع كلها فيما عدا الموضع الذى نحن بصدده.

أما اللفظة الثانية (عنب) فهى مستعملة أيضاً فى القرآن على حقيقتها فى نحو:-

١- " أو تكون لك جنة من نخيل وعنب " الإسراء ٩٧.

٢- " فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضبا " عبس ٢٨.

ومن اليسير ان نتصور التقارب بين دلالة اللفظين إذ إن الخمر " ما أسكر من عصير العنب لأنها خامرت العقل " (١).

ويبدو أن كلاً من الفظتين كانت تدل على معنى الأخرى، فإذا كانت الخمر هى العنب فى لهجة عمان على ما ذكر ابو عبيد فإن أبا حنيفة قال: إن العنب هو الخمر وزعم أنها لهجة يمانية وهم يستشهدون على هذه اللهجة بقول الراعى:

ينازعنى بهاندمان صدق شواء الطير وعنب الحقينا

(يريد الخمر)

من أسباب المترادفات اللفظية اللهجات العربية

إن اختلاف لهجات القبائل إدى على وجود كثير من الألفاظ المترادفة والتى كانت تستعمل فى كل قبيلة بمعنى واحد وإن اختلفت الألفاظ. فنجد أن كلمة (البر ، الحنطة ، القمح) كلها تدل على معنى واحد وهو هذا الغذاء الذى يطحن ومن ثم يوضع فى الفرن ويتحول إلى خبز يأكله الناس، وكلنا يعرف حادثة (السكين) و (المدية) مع الرسول (ﷺ) وأبى هريرة، مع اختلاف قبيلة الرسول (ﷺ) وقبيلة أبو هريرة، وحادث ملك اليمن، والتى كانت من نتيجتها أن قفز الرجل من القصر ولقى حتفه، لاختلاف اللهجات بين نزار. فالوثب عندهم بمعنى الطمر والقفز، والوثب فى ظفار اليمن بمعنى الجلوس. وكذلك المشترك اللفظى الذى ذكرناه فى موضعه، فنجد أن الكلمة الواحدة تحمل أكثر من معنى. فكلمة العين: بمعنى العين المبصرة، وعين الماء، والعين الرجل فى قومه، والعين

---

(١) اللسان لابن منظور (خمر).

الجاسوس، والعين الحسد، وعين الركبة، وغيرها. والأضداد أيضاً هى أن تتكلم قبيلة بلفظة وتتكلم قبيلة أخرى بنفس اللفظة ولكن بمعنى يغاير المعنى فى القبيلة الأولـــى، كلفظة الجون تحمل معنى الأبيض والأسود.

وقد ذكرت كل هذا ..... ولا أريد الاستطراد ولكن ذكرت هذه الأمثلـــة حتـــى أقول أن اختلاف اللهجات كان سبباً من الأسباب التى أدت إلى تطور اللفظة العربية والتى أدت على إثراء العربية وهذا من معطيات العربية وقدرتها على التطور.

ومهما اختلفت الأراء حول ذلك، فإن فى اختلاف اللهجات العربية أثـــر كبيـــر على العربية نفسها وعلى سعتها وكثرة مفرداتها، ومع أن القراءات القرآنية المختلفة ذات أثر قليل فى التوسع فى الاستعمال الدلالى فى الألفاظ فإن لغة المحادثة العامـــة بين أفراد القبائل المختلفة ذات أثر أوسع واشمل فى التوسع فى الدلالة اللفظية وفـــى التوسع فى مفردات العربية، وحتى لو كان الاستعمال مجازفاً فإن هذا أيضاً له أثـــره الكبير فى التوسع الدلالى فى الألفاظ العربية فى لغة الضاد.

المبحث الثالث : من معطيات السلب وأثر ذلك فى التطور اللغوى من خلال نماذج وأمثلة تطبيقية

وفكرة السلب لدى ابن جنى تتبلور فى أن زيادة تطرأ على الكلمة فتكسبها معنى مضادا لما عليه معانى أصل المادة، وقد تكون هذه الزيادة: حرفا – أو تضعيفا – أو حركة فيتحول المعنى بواحدة منها إلى الضد – وأطلق على الظاهرة: ظاهرة السلب، من قبل أن السلب معنى حادث على اثبات الأصل الذى هو الإيجاب، ثم يعلل ذلك بقوله: فلما كان السلب معنى زائد حادثا لاق به من الفعل ما كان زا زيادة من حيث كانت الزيادة حادثة طارئة على الأصل الذى هو الغاء العين واللام (١).

وبناء على ذلك فالسلب عنده تحدثه وحدات لغوية تزاد على الكلمة فتكسبها معنى مضاد.

وقد نبهنا ابن جنى إلى أن هذا الموضوع منسوب إلى أستاذه أبى على الفارسى رحمه الله ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

كل فعل أو أسم مأخوذ من الفعل، أو فيه معنى الفعل فإن وضع ذلك فى كلامهم على اثبات معناه لأسلبهم إياه.

وذلك قولك: قام فهذا لإثبات القيام، وجلس لإثبات الجلوس، وينطلق لإثبات الانطلاق، وكذلك الانطلاق، ومنطلق جميع ذلك وما كان مثله إنما هو لإثبات هذه المعانى لا لنفيها، ألا ترى أنك إذا أردت نفى شئ منها ألحقته حرف النفى فقلت: ما فعل، ولن نفعل، ولا تفعل ونحو ذلك.

ثم أنهم مع هذا قد استعملوا ألفاظاً من كلامهم من الأفعال ومن الأسماء الضامنة لمعانيها فى سلب تلك المعانى لا لإثباتها.

ألا ترى أن تصريف (ع . ج . م). أين وقعت فى كلامهم إنما هو للإبهام، وضد البيان، من ذلك. العجم فإنهم لا يفصحون:

وعجم الزبيب ونحوه لاستتاره فى ذلك العجم:

---

(١) الخصائص جـ ٣ صـ ٨٠.

ومنه عجمة الرمل لما استبهم منه على سالكيه فلم يتوجه لهم:

ومنه عجمت العود ونحوه إذا عضضته: – لك فيه وجهان:

إن شئت قلت إنما ذلك لإدخالك أياه فى فيك وإخفائك له.

وإن شئت قلت: أن ذلك لأنك لما عضضته ضغطت بعض ظاهر أجزائه فغارت فى المعجوم فخفيت.

ومن ذلك استعجمت الدار إذا لم تجب سائلها. قال (١).

صم سداها وعفا رسمها واستعجمت عن منطق السائل

ومنه جرح العجماء جبار(٢) لأن البهيمة لا تفصح عما فى نفسها.

ومنه قيل: لصلاة الظهر والعصر: العجماوان لأنه لا ينصح فيهما بالقراءة وهذا كله على ما تراه من الاستبهام وضد البيان.

ثم أنهم قالوا أعجمت الكتاب إذا بينته وأوضحته فهو إذا لسلب معنى الاستبهام لا لإثباته،، (٣).

من عرض ابن جنى لمثاله السابق تتضح أمامنا حقيقتان يركز ابن جنى عليها:

الأولى : أنه يركز على أن مشتقات المادة كلها تدور حول معنى أصل المادة ويوضح ذلك من خلال عرض الاستعمالات اللغوية لمشتقات المادة – يتضح هذا من واقع الاستعمال ومن عرف الجماعة اللغوية. وليس هذا من الرمزية الصوتية فى شئ ../.

الثانية : أن الهمزة عندما أضيفت إلى أصل المادة (ف . ع . ل) = (ع . ج . م) سلبت أصل المادة معناها الأساسى وأعطتها معنى الضد.

تفسير ذلك أن كل مشتقات مادة (ع . ج . م) إنما هو للإبهام الذى هو ضد البيان – ولكن عندما زيدت الهمزة – فصارت (أع . ج . م). صارت لإزالة العجمة أى لإعطاء معنى البيان والتوضيح.

---

(١) القول لامرئ القيس.

(٢) ومقصود القول: أن البهيمة العجماء إذا تفلتت من صاحبها وأتلفت شيئاً فلا ضمان على صاحبها. وأما الجبار فمعناه البدر.

(٣) الخصائص (السابق) جـ٣ صـ ٧٦.

فدور الهمزة الدلالى داخل هذه الكلمة إنما هو لسلب معنى الاستبهام. أى أنهـا وحدة صوتية ذات وظيفة دلالية.

ويعرض ابى جنى أمثلة أدت فيها الهمزة هذا الدور الوظيفى:- يقول: " ومثلـه تصريف (ش . ك . و) فأين وقع ذلك فمعناه: أثبات الشكو ، والشكوى ، والشـكاة ، وشكوت، واشتكيت.

فالباب فيه كما تراه لإثبات هذا المعنى:

ثم أنهم قالوا: أشكيت الرجل إذا أزلت عنه ما يشكوه.

فهو اذا لسلب معنى الشكوى لا لإثباته.

أنشد أبو زيد:

تمد الأعناق أو تلويها وتشتكى لو أننا نشكيها

مس حوايا قلما تجفيها (١)

وفى الحديث (٢): شكونا إلى رسول الله (ﷺ) حر الرمضاء فلم يشكنا، أى: فلم يفسح لنا فى إزالة ما شكوناه من ذلك إليه، (٣).

ومنه حكاية الفراء عن أبى الجراح:

بى أجل – فأجلونى – أى داوونى ليزول عنى.

والأجل: وجع فى العنق (٤).

فالهمزة أدت وظيفة واحدة فى الأمثلة المختلفة فأين هى الرمزية أو العلاقة الطبيعية؟

أما الزيادة التى تأتى نتيجة للتضعيف فتؤدى الدور الوظيفى السابق – فيوضحها قول

---

(١) جاء: قال ابن السيرافى: " وصف أبلا قد أتعبها السير، فهى تمد أعناقها ".

والأبل إذا أعيت ذلت ومدت أعناقها أولوتها.

ولما قوله: (مس حوايا): مفعول تشتكى – والحوايا جمع الحوية: وهى كساء محشو حول سنام البعير.

– وقوله: (نجفيها): أى نزل عنها الحوايا – وذلك بترك الرحيل – وانظر الخزانة جـ ٤ صـ ٥٣٠ – واللسان مادة (جفو).

(٢) رواه مسلم فى أوقات الصلاة. والرمضاء الذى اشتدت حرارته – وكانوا سألوه تأخير صلاة الظهـر – وقيل: أن هذا نسخة حديث الابراد. أنظر شرح النووى – والخصائص حاشية ٤ صـ ٧٧.

(٣) الخصائص (السابق) جـ ٣ صـ ٧٧. (٤) الخصائص (السابق) جـ ٣ صـ ٧٧.

ابن جنى الآتى: حيث يقول:

ومنه تصريف (م ر ض) – أنها لإثبات معنى المرض نحو:

مرض – يمرض – وهو مريض – ومارض – ومرضى – ومراض.

ثم أنهم قالوا: مرضت الرجل تضعيف الراء: أى داويته من مرضه – حتى أزالته عنه – أو لتزيله عنه.

وكذلك تصريف: (ق . ذ . ى) أنها لإثبات معنى القذى: منه قذت عينه، وقذيت وأقذيتها.

ثم أنهم مع هذا يقولون: قذيت عينه: إذا أنزلت عنه القذى. (تضعيف الذال).

وهذا لسلب القذى لا لإثباته (١).

ومعنى ما قاله ابن جنى هنا: أن تضعيف العين فى مادة (م ر ض) أى تصييرها (مرض) وتضعيفها أيضاً فى مادة (ق . ذ ى)أى تصيرها (قذيت) ميز الصيغ من حيث الدلالة وأعطاها قيماً لغوية مختلفة – والتضعيف هو زيادة فى كمية الصوت الصحيح تحدث نتيجة لتوتر فى موضع النطق به – أى هى زيادة صوتية ذات وظيفة دلالية ..

ودور تضعيف العين داخل هذه الكلمات إنما هو لسلب المعنى الذى عليه أصل المادة (إى لإعطاء الضد) ويضرب ابن جنى مثلاً آخر بهذا الخصوص فيقول :

ومن ذلك تصريف (أ ث م) أين هى وقعت لأثبات الإثم: نحو:

أثم – يأثم – وأثم – واثيم – وأثوم – والمأثوم – وهكذا كله لإثباته. ثم أنهم قالوا:

تأثم: أى ترك الإثم (بتضعيف الثاء).

ومثله: تحوب: أى ترك الحوب،، (٢).

---

(١) الخصائص (السابق) جـ ٣ صـ ٧٦/٧٧.

(٢) الخصائص (السابق) جـ ٣ صـ ٧٨.

جاء: هو ساعده بن جؤية – والبيت بتمامه: موكل بشدوف الصوم يرقبه من المعازب مخطوف الحشازرم. والصوم: شجر على شكل الإنسان وشدوفه : شخوصه. والمعازب: الأمكنة البعيدة.

ومخطوف الحشا: ضامره – وزرم : لا يثبت فى مكان – وهو يصف ثوراً.

قال الأصمعى: أنه يرقب شجر الصوم يخشى أن يكون إنسانا السابق صـ ٧٩ – وانظر الأمالى جـ ١ صـ ٢٥.

ومنه تصريف (ب ط ن) إنما هو الإثبات معنى البطن: نحو : بطن وهـو : بطين – ومبطان.

ثم قالوا: رجل مبطن الخميص البطن. (بتضعيف الطاء).

فكأنه لسلب هذا المعنى.

قال الهذلى:

- مخطوف الحشا زرم *

وهذا مثله سواء (١). فالزيادة الصوتية نتيجة للتضعيف أدت وظيفـة دلاليـة وهو سلب المعنى الذى عليه الأصل وإعطائه الضد.

أما الزيادة التى تأتى نتيجة للحركات – وتؤدى على أثرهـا الـدور الـوظيفى السابق – أى تسلب المعنى الأصلى من المادة الأساسية – وتعطيها معنـى الضـد. فيوضحها قول ابن جنى الآتى:

وكان أبو على رحمة الله يذهب فى الساهر إلى هذا – ويقـول : أن قـولهم: سـهر فلان : أى نبا جنبه عن السـاهرة – وهى وجه الأرض. وقال عز وجل : فإذا هـم بالساهرة (٢)– فكان الإنسان إذا سهر قلق جنبه عن مضجعه ولـم يكـد يلاقـى الأرض، فكأنه سلب الساهرة ".

ويوضح ابن جنى أن الزيادة فى هذا المثال جاءت نتيجة لبعض الحركات فيـه فيقول فأما سهر فأنه فى بابه: وأنه خرج إلى سلب أصل الحرف بنفسه مـن غيـر زيادة فيه.

فلك فيه عذران:

* إن شئت قلت: أنه وأن عرى من زيادة الحروف فإنه لم يعر من زيادة مـا هـو مجار للحرف: وهو ما فيه من الحركات. وقد عرفت من غيـر مقاربـة الحـروف للحركات. والحركات للحروف: فكان فى سهر ألفا وياء حتى كأنه (ساهير).

فكأنه إذا ليس بعار من الزيادة؟ إذ كان فيه ما هو مضـارع للحـرف. أعنـى الحركة.

* وإن شئت قلت خرج (سهر) منتقلاً عن أصل بابه إلى سلب معناه منه .../...

---

(١) الخصائص (السابق) صـ ٧٩. (٢) سورة النازعات آية ١٤.

... ومثل (سهر) فى تعرية من الزيادة قوله (١).

" يخفى (٢) التراب بأظلاف ثمانية "

وابن جنى يرى هنا أن السلب فى مادة (سهر) حدث من المعنى الأصلى إلى الضد بأحد طريقين:

- الأول بحركات هو يقدرها .. والطريق الثانى أنه خرج منتقلاً عن أصل بابه إلى سلب معناه بدون زيادة، ولكن الرأى الذى أراه أنه إذا حدث سلب المعنى بدون وجود وحدة لغوية مهما قلت حتى ولو كانت حركة أو صفة تتصل بها من نحو زيادة فى الكمية أو تفخيم أو غيره أو اختلاف فى النوع من حركة خلفية ضيقة إلى أمامية ضيقة مثلاً .../... الخ فإن ذلك عندى يدخل ضمن باب الأضداد ويطرح من هذا الباب (باب السلب) .../...

ويظل هذا الباب تحدثه نوع من الوحدات اللغوية على اختلاف أنواعها ما بين حرف أو صوت أو زيادة فى الكمية بتضعيف الصحيح - أو إطالة الحركة (العلة) أو وجود صفات صوتية أخرى .. طالما أن الاستعمال اللغوى فى عصور الاحتجاج أو جدها .../... وتكشف عنها الدراسة الخاصة بهذا الباب .../...

ومعنى ذلك أن ابن جنى وضع بين أيدينا منهجاً، وقدم نماذج تحتذى فى الدرس اللغوى .. هى اليوم من أهم النظريات اللغوية عند اللغويين وهم لم يصلوا بعد إلى كل تلك الأبعاد التى عرض مادتها ابن جنى على نحو ما قدمه.

---

(١) الخصائص (السابق) جـ ٣ صـ ٨٠.

قول عبده بن الطيب - والبيت بتمامه.

يخفى التراب بأظلاف ثمانية فى أربع مسهن الأرض تحليل.

والبيت من قصيدة طويلة منفصلة، يصف فيه ثوراً وحشياً صارع كلاب الصيد، ونجا منها وأسرع السير؟ وهو فى عدوه يستخرج التراب، ويظهره بأظلافه الثمانية فى أربع قوائمه. فى كل قائمة ظلفات: وذكر أن القوائم تلمس الأرض لمساً خفيفاً، كمن يفعل الشئ لتحليل القسم على فعله. لا رغبة فيه.

وانظر حاشية (٣) صـ ٨١ - السابق.

(٢) الاخفاء : هو الستر - ولكن يخفى هنا بمعنى يثير - فالثور يظهر بأظلافه التراب ويثيره لذا فهذا على نحو ما أوضحه من الأضداد وليس من السلب.

الرمزية الصوتية

من الواضح أنه لا صلة هناك بين هذا الموضوع هو الآخر وقضية الرمزية الصوتية أو المناسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعانى ...

وأنه لمن الظلم البين لهذا الفكر المبدع الذى انتهى إليه عباقرة من أسلافنا العلماء رضوان الله عليهم أن نحصر إبداعهم داخل دائرة الرمزية الصوتية التى لا تقدم للغة العربية من حيث الظواهر أو الخصائص شيئاً يذكر وليست خاصة بالعربية وحدها فقد ناقشها اللغويين فى كل العصور وطبقوها على كل اللغات.

أما النظرية التى انتهى إليها هذا العالم فله فضل السبق فيها وهو رائد فيها وهى نظرية لغوية تباهى بها الغربيون وفى اللغة العربية أبعاد تميزها عن غيرها من اللغات.

وبهذا يكون قد رد الحق لأصحابه ونال الفضل مستحقوه فابن جنى عالم عربى مبدع والعربية منفردة بخصائصها داخل النظريات اللغوية العامة التى توصل إليها علم اللغة المحدث وفق مناهجه فيظل لعلماء العربية السبق وللعربية التفرد بخصائصها بين اللغات داخل النظريات اللغوية .

المبحث الرابع: جانب من المعايشة اللغوية للبيئة
من خلال نماذج وأمثلة تطبيقية

لتلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى (١)

يبين كيف أن ابن جنى استفاد من المعايشة اللغوية زمانياً ومكانياً فـي احاطـة واعية بسيكوجيه اللغة. وسيكولوجية المتحدثين بها .../...

وهذا الباب فى حاجة لأن يسلط عليه ضوء التحليل اللغوى، وذلك لاعتبـارات متعددة .../... على نحو تبين فيما يأتى:

يقول ابن جنى:

هذا فصل من العربية حسن كثير المنفعة قوى الدلالة على شرف هـذه اللغـة. وذلك أن تجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كل اسم منهـا، فتجـده مفضى المعنى الى معنى صاحبه (٢).

نماذج وأمثلة

وذلك كقولهم: (خلق الإنسان) فهو فعل من خلقت الشـئ أى ملسـته ومنـه صخرة خلقاء للملساء ومعناه أن خلق إنسان هو ما قدر له ورتب عليه، فإنه أمر قـد استقر وزال عنه الشك، ومنه قولهم – فى الخبر: " قد فرغ الله من الخلق والخلـق ". (بضم الخاء واللام فى الثانية).

والخليقة: فع يلة منه.

وقد كثرت فعيلة فى هذا الموضع. وهو قولهم: (الطبيعية) وهى من طبعـت الشئ أى قررته على أمر ثبت عليه، كما يطبع الشئ كالدرهم والـدينار – فتلزمـه أشكاله، فلا يمكنه انصرافه عنها، ولا انتقاله.

---

(١) كتاب الخصائص (السابق) جـ ٢ صـ ١١٣.

(٢) حديثه هنا من ظاهرة الترادف فى اللغة العربية، ويتناولها تناولاً مخالفاً لسابقيه أو اللاحقين مـن بعـده حيث يوجد علاقة تبعية وتقارب بين الألفاظ المتباعدة المترادفة التى تدور حول المعنى الواحد ويحلـل ويربط فى توضيح ينضوى وفق مفهوم الدراسة الحديثة تحت قوانين علمية لم يتوصل لهـا المحـدثون اليوم الا متأخراً .../...

ومنها الغريزة: وهى فعيلة من غرزت كما قيل لها طبيعة لأن طبع الدرهم ونحوه ضرب من وسمه وتغريزه بالآلة التى تثبت عليه الصورة. وذلك استكراره له وغمز عليه كالطبع.

ومنها النقيبة: وهى فعيلة من نقيب الشئ، وهو نحو من الغريزة.

ومنها الضريبة: وذلك أن للطبع لابد معه من الضرب لتثبت له الصورة المرادة.

ومنها النحيزة: وهى فعيلة من ذخرت الشئ إى دققته – ومنه المنحاز: الهاوون لأنه موضوع للدفن به والاعتماد على المدقوق. قال (١).

" ينحزن من جانبها وهى تتسلب " (٢).

أى تضرب الأبل حول هذه الناقة للحاق بها، وهى تسبقهن وتتسلب أمامهن.

ومنها السجية: وهى فعيلة من سجا يسجو إذا سكن، ومنه طرف ساج ، ليل ساج ، قال:–

يا حبذا التمراء والليل الساج وطرق مثل ملاء النساج (٣)

وقال الراعى:

الا اسلمى ذات الطوق والعاج والدل والنظر المستأنس الساجى (٤)

فذلك أن خلق الإنسان أمر قد سكن إليه واستقر عليه، إلا تراهم يقولون فى مدح الرجل: فلان يرجع إلى مروءة ، ويخلد على كرم ، ويأوى إلى سداد وثقة فيأوى إليه هو هذا ، لأن المأوى خلاف المعتمل ، لأنه إنما يأوى إلى المنزل ونحوه إذا أراد السكون.

---

(١) ذو الرمة.

(٢) وصدره: " والعيس من عاسج لو واسج خبيا ".

والعيس: الابل البيض يخالط بياضها شقرة، والعاسج: المسرع – وكذلك لواسج – والاتسلاب: المضاء فى السير – والبيت من القصيدة التى مطلعها:–

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب أنظر: اللسان مادة نحز – وانظر الديوان/٨.

(٣) البيت فى الكامل ١ / ٢٤٤ (طبعة شاكر) وفى اللسان: مادة سجا – والملاء: جمع ملاءة. شبه خيوط الطارق فى ضوء القمر بخيوط الملاءة.

(٤) الراعى: اسمه عبيد بن حصين، عاصر جريرا والفرزدق – وفضل الفرزدق فهجاه جرير مات سنة ٩٠هـ. وفى الشعر والشعراء: ١٥٦ أن اسمه حصين بن معاوية.

ومنها الطريقة: من طرقت الشئ أى وطأته وذللته: وهذا هو معنى ضربته ونقبته وغرزته ، ونحته ، لأن هذه كلها رياضيات وتدريب واعتمادات وتهذيب.

ومنها السجيحة: وهى فعيلة من سجع خلقه، وذلك أن الطبيعة قد قرت واطمأنت فسجحت (١) وتذللت. وليس على الإنسان من طبعه كلفة – وإنما الكلفة فيما يتعاطاه ويتجشمه، قال حسان:

ذروا التخاجؤ وامشوا مشية سجحا أن الرجال ذوو عصب وتذكير (٢).

وقال الأصمعى: إذا استوت أخلاق القوم قيل: هم على سرجوجة واحدة (٣) ومن واحد.

ومنهم من يقول سرجيحة: وهى فعليلة من هذا فسرجوحة: فعلولة من لفظ السرح ، ومعناه – والتقاؤها أن السرح إنما أريد للراكب ليعدله ويزيل اعتلاله وميله – فهو من تقويم الأمر – وكذلك إذا استتبوا على وتيرة واحدة فقد تشابهت أحوالهم . وزاح خلافهم ، وهذا أيضاً ضرب من التقرير والتقدير – فهو بالمعنى عائد إلى النحيتة والخليقة لأن هذه كلها صفات تؤذن بالمشابهة والمقاربة.

والمرن مصدر كالحلف والكذب ، الفعل منه مرن على الشئ اذا ألفه فلان له. وهو عندى من مارن الأنف لمالان منه فهو أيضاً عائد إلى أصل الباب ، إلا ترى أن الخليفة والنحيتة والطبيعة والسجية وجميع هذه المعانى التى تقدمت تؤدة بالالف والملاينة والأصحاب والمتابعة.

ومنها السليقة: وهى من قولهم فلان يقرأ بالسليقة أى بالطبيعة وتلخيص ذلك أنها كالذحية – وذلك أن السليق ما تحات من صغار الشجر – قال:

---

(١) الاسجاح: حسن العفو إذا ملكت فأسجح – ومشية سجح: سهلة.

(٢) التخاجؤ فى المشى: التباطؤ ويريد بهما هنا التبختر والخيلاء – وفى الصحاح: (دعوا التخابؤ) مادة خجا وانظر الديوان: ١٢٣.

(٣) وكذلك هى فى الصحاح (مادة سرج).

تسمع منها فى السليق الأشهب معمعة مثل الآباء الملهب (١).

وذلك أنه إذا تحات لأن وزالت شدته، والحت كالنحت – وهما فى غاية القرب – ومنه قول الله سبحانه وتعالى " سلقوكم بألسنة حداد " (٢)، أى نالوا منكم وهذا هو نفس المعنى فى الشئ المنحوت. ألا تراهم يقولون: فلان كريم النجار والنجر، أى الأصل ، والنجر ، والنحت ، والحت ، والضرب ، والدق والنحز ، والطبع ، الخلق ، والفرز ، والسلق كله التمرين على الشئ وتليين القوى ليصحب وينجذب.

فاعجب للطف صنع البارى سبحانه فى أن طبع الناس على هذا، وأمكنهم من ترتيبه وتنزيله وهداهم للتواضع عليه وتقريره (٣).

ومن ذلك قولهم: للقطعة من المسك: الصوار بضم الصاد وكسرها قال الأعشى:(٤).

إذا تقوم يضوع المسك أصورة والعنبر الورد من أردانها شمل

فقيل له: صوراً لأنه فعال من صاره يصوره إذا عطفه وتناه – قال الله سبحانه " فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك "(٥) وإنما قيل له ذلك لأنه يجذب حاسة من يشمه إليه، وليس من خبائث الأرواح فيعرض عنه،وينحرف على شق غيره(٦) ألا ترى إلى قوله:

---

(١) الشهبة: البياض الذى غلب على السواد. والأباء: جمع أباءه كعباءه وهى القصبة.
أنظر سر الصناعة ٧٨ / ٧٩ فيما فاوه وعينه همزتان.
واللهب: لسان النار – ولهب الرجل: عطش فهو لهبان وهى لهبى – واللهب الفرس اضطرم جريه.

(٢) سورة الأحزاب ١٩/٣٣.

(٣) رأى ابن جنى فى نشأة اللغة: أتوقيف هى من الله لم تواضع وإصلاح .... قد مر.

(٤) البيت من قصيدة الأعشى التى مطلعها:
ودع هريرة أن الكب مرتحلوهل تطيق وداعاً أيها الرجل؟
ورواية الديوان: والزنبق الورد .. ، .. والأردن : الأكمام – والورد ما كان بلون الورد أى أحمر.

(٥) سورة البقرة ٢٦ والآية فصرهن إليك – أى وجههن . وفى اللسان: الصور : الميل – وصرت إلى الشئ وأصرته: أملته – وفى حديث عمر من العلماء: " تتعطف عليهم بالعلم قلوب لا تصورها الأرحام " أى لا تميلها.

(٦) فى اللسان: الصوار: القليل من المسك: وقيل القطعة منه – والجمع أصورة – فارسى (وهنا نظر).

ولو أن ركباً يمموك لقادهم نسيمك حتى يستدل بك الركب (١)

وكذا نجد أيضاً معنى المسك . وذلك أنه فعل : من أمسكت الشئ كأنه لطيب رائحته يمسك الحاسة عليه ولا يعدل بها صاحبها عنه (٢).

---

(١) يمموك: أى وجهوك ، قادهم نسيمك: أى عطفهم وأمالهم – وفى للخصائص للمحقق أن المناسب أن تكون الرؤية يستدل به الركبا.

(٢) ذكر الجواليقى: المسك فارسى– وهو عند العرب المشموم – (المزهر) (٢) /١١٦ / كتاب المعرب – للجواليقى وفى اللسان : مادة مسك : قال الجوهرى المسك من الطيب : فارسى معرب ، وكانت العرب تسميه المشموم.

المبحث الخامس : جانب من معطيات التصوير اللفظى للمعنى اللغوى فى العربية
نماذج وأمثلة على سبيل المثال لا الحصر

ومن ذلك:-

قولهم للجالد (المسك) هو فعل بفتح الفاء وسكون العين من هذا الموضـــع، ألا ترى نه يمسك ما تحته من جسم الإنسان وغيره من الحيوان (١). ولولا الجلد لـــم يتماسك ما فى الجسم من اللحم والشحم وبقية الأمشاج وغيرها.

فقولهم إذا: مسك يلاقى معناه معنى الصوار، وإن كان من أصـــلين مختلفـــين، وبناءين متباينين أحدهما: مسك – والآخر صور كما أن الخليقة من خلق والســـجية من سجو الطبيعة من طبع والنحيتة من نحت والغريزة من غرز والسليقة من ســـلق والضريبة من ضرب والسجيحة من سجح والسرجوجة من سرج والنجار من نجر، والمرن من مرن فالأصول مختلفة والأمثلة متعادية – والمعانى من ذينك متلاقية.

(فأين هى المناسبة الطبيعية بين اللفظ والمعنى؟)

ومن ذلك قولهم: صبى وصبية، وطفل وطفلة، وغلام وجارية، وكلـــه وللـــين والانجذاب، وترك الشدة والاعتياض وذلك أن صبياً من صبوت إلى الشئ إذا ملـــت له، ولم تستعصم دونه، وكذلك الطفل هو من لفظ طفلت الشـــمس للغـــروب : أى مالت إليه، وانجذبت نحوه – ألا ترى إلى قول الهجاج:

والشمس قد كانت تكون دنفاً (٢).

يصف ضعفها ولكبابها، وقد جاء به بعض المولدين فقال (٣).

وقد وضعت خداً إلى الأرض لضرعا

---

(١) جاء فى كتاب حضارة مصر القديمة، أن حلب الحيوان باللغة المصرية القديمة: مسكا – وهو بالأكادية مشكو. والآرامية ماشكا.

(٢) وبعده: .... ادفعها بالراح كى تزحلقا. وقطر اللسان ماد: دنف.

(٣) ابن الرومى: فى وصف غروب الشمس : تمامه :

ولاحطت النوار وهى مريضة وقد وضعت خدا إلى الأرض لضرعا

ومنه قيل: فلان طفيلى، وذلك أنه يميل إلى الطعام (١) – وعلى هـذا قـالوا له : غلام لأنه من الغلمة، وهى اللين، وضعفه العصمة – وكذلك قـالوا: جاريـة. فهى فاعلة من جرى الماء وغيره، ألا ترى أنهم يقولون: أنها غصة بضة رطبـة، ولذلك قالوا: قد علاها ماء الشباب؟ – قال عمر (٢):

وهى مكنونة تحير منها فى أديم الخدين ماء الشباب (٣)

وذلك أن الطفل والصبى والغلام والجارية ليست لهم عصمة الشيوخ. ولا جسأة (٤) الكهول وسألت بعض بنى عقيل . عن قول الحمصى (٥).

لم تبل جدة سمرهم سمر ولم تسم السموم لأدمهن أديما

فقال: هن بمائهن كما خلقنه

فإذا اشتد الغلام شيئاً قيل له: حزور وهو: فعول – من اللبن الحازر إذا اشـتد للحموضة قال العجلى (٦).

وارضو باحلابه .. وطب قد حذر(٧).

وقال (٨) نزع الحزور بالرشاء المحصد (٩).

---

(١) قيل أنه نسبة إلى رجل اسمه طفيل بن زلال من أهل الكوفة كان يأتى الولائم من غير دعوة.

(٢) يقصد: عمر بن ابى ربيعة.

(٣) تحير الماء: اجتمع – واستحار شباب المرأة وتحير: امتلا وبلغ الغاية – اللسان (مادة : حير).

(٤) الجسأة : الصلابة

(٥) ديك الجن: وهو عبد السلام بن رغبان – وقد لقى أبا تمام وتوفى سنة ٢٣٥ – أنظر وفيـات الاعيـان ٣٥٦/٢.

(٦) هو: الأغلب بن عمرو العجلى من بكر بن وائل، جاهلى أدرك الإسلام وحسن إسلامه واستشـهد فـى معركة نهاوند قال: الآمدى فى المؤتلف والمختلف: هو أرجز الرجاز وأرصنهم كلاماً وأصحبهم معانى ترجمته فى الخزانة ٣٣٣/١.

(٧) هو فى اللسان: مادة حزر.

(٨) النابغة " من قصيدته المشهورة فى المتجردة:

من آل ميه رائح أو مفتد عجلان ذا زاد وغير مزود

(٩) الحزور من الأضداد فمن معناه الضعيف غير البالغ اللسان مادة: جزر.

وكأنهم زادو الواو وشددوها لتشديد معنى القوة (١)

كما قالوا لسئ الخلق: عذور. فضاعفوا الواو الزائدة لذلك : قال (٢)

لذا نزل الأضياف كان عذورا على الحى حتى تستقل مراجله

ومنه: رجل كروس : للصلب الرأس ، وسفر عطود ، للشديد قال:

اذا جشمن قذفاً عطودا رمين بالطرف مداء الأبعدا (٣).

ومثل الأول: قولهم : غلام رطل، وجارية رطلة للينها – وهو من قولهم : رطل شعره : إذا أطاله فاسترخى – ومنه عندى : الرطل الذى يوزن به – وذلك أن الغرض فى الأوزان ن تميل ابداً إلى أن يعادلها الموزون بها : ولهذا قيل لها مثاقيل فهى مفاعيل من الثقل . والشئ إذا ثقل استرسل وأرجحن فكان ضد الكائش الخفيف.

فهذا ونحوه من خصائص هذه اللغة الشريفة اللطيفة، وانما يسمح الناس هذه الألفاظ فتكون الفائدة عندهممنها انما هى علم معنياتها، فأما كيف ؟ ومن أين؟ فهو ما نحن عليه . وأحج به أن يكون عن كثير منهم نيفا لا يحتاج إليه، وفضلا غيره أولى منه.

ومن ذلك أيضاً قالوا: ناقة – كما قالوا: جمل . وقالوا ما بها دبيج – كما قالوا : تناسل عليه الوشاء، والنقاء معانيها أن الناقة كانت عندهم مما يتحسنون به ويتباهون بملكه فهى (فعله) من قولهم : تنوقت فى الشئ إذا أحكمته وتخيرته – قال ذو الرمة. ... تنوقت به حضرميات الأكف الحوائك(٤).

وعلى هذا قالوا: جعل لأن هذا فعل من الجمال كما أن تلك فعلة من تنوقت وأجود

---

(١) الحزور من الأضداد: فمن معناه : الضعيف غير البالغ – جاء فى اللسان قال أبو حاتم فى الأضداد :

الحزور : الغلام إذا اشتد وقوى.

والحزور: الضعيف من الرجال وأنشد :

أن أحق الناس بالمنية حزور ليست له ذرية

(٢) أنظر الأمالى ٢/ ٨٣ – من أبيات مختلطة لزينب الطائرية فى رثاء أخيها يزيد – والمحبر السلولى.

(٣) والمعنى: أنه كريم يتعب أهله بأضيافه ، فهو مع أهله سئ الخلق حتى يرحل ضيوفه.

فى اللسان: فلاة قذف وقذف : أى بعيدة تقاذف بمن يسلكها – وهو فى وصف الأبل.

(٤) صدره: كان عليها سحق لفق تنوقت ... والسحق : البالى واللفق : أحد شقى الملاءة – وانظر ديوان ذو الرمة: ٤١٦.

اللغتين تأنقت – قال الله سبحانه " ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون" (١).

وقولهم ما بها دبيج. هو فعيل: من لفظ الديباج ومعناه . وذلك أن الناس بهم العمارة وحسن الآثار وعلى أيديهم يتم الأنس وطيب الديار، ولذلك قيل لهم: ناس لأنه فى الأصل إناس فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال فهو فعال من الأنس، قال (٢).

أناس لا يملون المنايا إذا دارت رحى الحرب الزبون (٣).

وقال: أناس عدا علقت فيهم وليتنى طلبت الهوى فى رأس ذى زلق أشم (٤).

وكما اشتقوا دبيجاً من الديباج، كذلك اشتقوا الوشاء من الوشى : فهو (فعال) منه وذلك أن المال يشى الأرض ويحسنها . وعلى ذلك قالوا : الغنم لأنه من الغنيمة ، كما قالوا لها : الخيل ، لأنها (فعل) من الاختيال . وكل ذلك مستحب.

أفلا ترى إلى تتالى هذه المعانى وتلاحظها، وتقابلها وتناظرها؟ وهى: التنوق – والجمال ، والأنس ، والديباج ، والوشى ، والغنيمة ، والاختيال.

ولذلك قالوا: البقر من بترت بطنه أى شققته فهو إلى السعة والفسحة: وضد الضيق والضغطة.

فان قلت: فان الشاة من قولهم: الرجل أشوه، وامرأة شهواء ، للقبيحين ، وهذا ضد الأول ففيه جوابان : أحدهما أن تكون الشاة جرت مجرى القلب لدفع العين عنها لحسنها ، كما يقال فى استحسان الشئ قاتله الله . كقوله (٥).

رمى الله فى عينى بثينة بالقذى وفى الشنب من أنيابها كالقوادح (٦). وهو كثير

---

(١) الأنعام: ٥ / ٦. (٢) البيت لأبى الغول الطهوى.

(٣) الزبن: الدفع – والحرب زبون لأنها تصدم الناس وتدفعهم.

(٤) هواه لدى قوم متباعدين غرباء وليته كان فى رأس جبل وعر كثير المزالق – إذاً لكان أيسر وأهون.

(٥) جميل بثينه. (٦) الشنب: رقة وعذوبة وبرد فى الفم وفى الأسنان – قال ذو الرمة:

لمياء فى شفتيها حوة لعس وفى اللثاث وفى أنيابها شنب

والقوادح: جمع قادح وهو سواد يظهر فى الأسنان.

أنظرديوان جميل تحقيق د. حسين نصار صـ ٥٣ – وروايته: فى الغر من أنيابها.

والآخر: أن من باب السلب، كأنه سلب القبح منها كما قيل للحرم نالـه (١) ولخشبة الصرار (٢) توديه (٣) ولجو السماء السكاك (٤) ومنه تحوب وتـأثم أى ترك الحوب والإثم.

وهو باب واسع وقد كتبنا منه فى هذا الكتاب

وأهل اللغة يسمعون هذا فيرونه ساذجاً غفلا، ولا يحسنون لما نحن فيـه مـن حديثه فرعاً ولا أصلاً (٥).

ومن ذلك قولهم: الفضة سميت بذلك لانفضاض أجزائها، وتفرقها فـى تـراب معدنها، كذا أصلها وإن كانت فيما بعد قد تصفى وتهذب وتسبك . وقيل لهـا فضـة كما قيل لها لجين : وذلك لأنها ما دامت فى تراب معدنها فهى ملتزقة فى التـراب ملتجنة (٦) به.

قال الشماخ:

وماء قد وردت أميم طام عليه الطير كالورق اللجين(٧).

أى المتلزق الملتجن، وينبغى أن يكونوا انمـا الزمـوا هـذا الاسـم التحقيـر لاستصغار معناه مادام فى تراب معدنه . ويشهد عندك بهذا المعنـى قـولهم فـى مراسلة : الذهب: وذلك

---

(١) ناله: النال: مصدر نلت أنال ، مثل : المنال والمنالة . والنالة : ما حول الحرم ، وهى عند ابـن سـيدة من النول – وعند ابن جنى من النيل – وانظر اللسان : مادة نول.

(٢) خشبة الصرار: خيط تشد به التوادى على أطراف الناقة – وتزيل الأطباء بالبعر الرطـب لـئلا يـؤثر الصرار فيها.

وصررت الناقة: شددت عليها الصرار – وفى الحديث: لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحـل صرار بغير إذن صاحبها فإنه خاتم أهلها . كناية عن حلبها – (أنظر اللسان : مادة صرر).

(٣) والتودية: خشبة تشد على أطباء الناقة لئلا يسـيل حليبهـا . والتـودى : السـيلان – ودى : سـال – فالتودية : تسمية على السلب لأنها تحول بين التصيل واللبن.

(٤) السكاك: الضيق ، واستكت مسامعه ضاقت.

(٥) سبق علاج هذا الباب . وينبه ابن جنى هنا إلى شئ هام غفل عنه اللغويين.

(٦) أى ملتزجة.

(٧) الشماخ: معقل بن ضرار ، شاعر صحابى ، والبيت من أبيات قالها فى مدح عرابة ابن أوس كما فـى الخزانة ح / ٢٢٢ والرواية فيها : وماء قد وردت لوصل أروى – والقصيدة فى الديوان : ٩٠ (طبـع فى مصر سنة ١٣٢٧هـ شرح الشنقيطى.

لأنه ما دام غير مصفى فهو كالذاهب – لأن ما فيه من التراب كالمستهلك لـــه – أو لأنه لما قل فى الدنيا فلم يوجد إلا عزيزاً صار كأنه مفقـــود ذاهـــب . ألا تـــرى أن الشئ إذا قل قارب الانتماء . وعلى ذلك قال العرب : قل رجل يقول ذلك ألا زيد ، بالرفع لأنهم أجروه مجرى : ما يقول ذلك أحد ألا زيد ، وعلى نحو من هذا قالوا : قلما يقوم زيد – فكفوا (قل) بـــ (ما) عن اقتضائها الفاعل ، وجاز عندهم اخلاء الفعل من الفاعل لما دخله من مشابهة حرف النفى كما بقوا المبتدأ بلا خبر فى نحو هذا من قولهم : أقل امرأتين تقولان ذلك لما ضارع المبتدأ حرف النفى – أفلا ترى إلى أنسهم باستعمال القلة مقارنة للانتفاء. فكذلك لما قل هذا الجوهر فى الدنيا أخذوا له اسما من الذهاب الذى هو الهلاك.

ولأجل هذا أيضاً، سموه تبراً لأنه (فعل) من التبار – ولا يقال لـــه (تبـــر) حتى يكون فى تراب معدنه أو مكسوراً.

ولهذا قال اللجام من الفضة (الغرب) وهو (فعل) من الشئ الغريب وذلـــك أنه ليس فى العادة والعرف استعمال الآنية من الفضة ، فلما استعمل ذلك فى بعض الأحوال كان عزيزاً غريباً – هذا قول ابن اسحق (١).

وأن شئت جذبته إلى ما كنا عليه فقلت: أن هذا الجوهر غريب من بين الجواهر لنفاسته وشرفه، ألا تراهم إذا أثنوا على إنسان قالوا: هو وحيد وقته، وغريـــب فـــى زمانه، ومنقطع النظير، ونسيج وحده ومنه قول الطائى الكبير.

غريبة العـــــلا على كثرة الناس فأضحى فـــى الأقـــربين جنيبـــاً (٢).

فليطل عمره فلو مات فى مرو ومقيماً بها لمات غريبـــاً

وقول الشاعر (٣):

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرنى ولا أعاتبه صفحاً وأهوانا

وهكذا كنت فى أهلى وفى وطنى أن النفيس عزيز حيثما كانا

---

(١) أبو اسحق الزجاج.

(٢) الجنيب: الغريب – والبيتان فى مديح أبى سعيد محمد بن يوسف الثغرى – أنظر الديوان ١/ ١٦٢.

(٣) يقصد المتنبى وقد كانت بينهما مودة وتقدير – والبيان فى شرح العكبرى ٤٦٩.

وبذلك على أنهم قد تصوروا هذا الموضوع من امتزاجه (١) بتراب معدنه أنهم إذا صفوه وهذبوه أخذوا له اسما من ذلك المعنى فقالوا له : الخلاص، والابريز، والعقيان فعلان من عقى الصبى يعقى وهو أول ما ينجيه عند سقوطه من بطن أمه قبل أن يأكل، وهو العقى. فقيل له ذلك لبروزه، كما قيل له البراز.

---

(١) أى امتزاج التبر.

المبحث السادس : من معطيات العلة فى اللغة وهى بيان علة تسمية الألفاظ بمسمياتها ودقتها فى التعبير من خلال نماذج وأمثلة تطبيقية على سبيل المثال لا الحصر

ومن ذلك:-

التأنى والتلطف فى جمع الأشياء وضمها، وملاءمة ذات بينها هو خاص اللغة وسرها، وطلاوتها الرائعة وجوهرها . فأما حفظها ساذجة، وقمشها (١) محطوبة هرجة (٢) فنعوذ بالله منه، ونرغب بما آتاناه سبحانه عنه.

ومن ذلك

قال أبو على رحمة الله – قيل له حبى، كما قيل له سحاب تفسيره أن حبيا (فعيل ٩ من حبا يحبو وكان السحاب لثقله يحبو حبوا – كما قيل له سحاب وهو (فعال) من سحب لأنه يسحب أهدابه وقد جاء بكليهما شعر العرب قالت امرأة.

وأقبل يزحف زحف الكثير سياق الرعاء البطاء العشارا (٣).

وقال أوس:

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح (٤).

وقالت صبية منهم لأبيها فتجاوزت ذلك:

أناخ بذى نفر بركه كان على عضديه كتافا (٥).

---

(١) التقميش: الجمع على غير هدى وبدون انتقاء.

(٢) الهرج، والهرج يفتح الهاء وكسرها: " هرج البعير : سحر من شدة الحر وكثرة الطلاء بالقطران فكأنه يريد أن تكون ضعيفة. وفى اللغة العربية . الهرج بكسر الهاء: الضعيف ".

(٣) مادة (حبا) فى اللسان: الرواية : زحف الكبير .../... والعشار من الأبل التى أتى عليها عشرة أشهر وبه فسر قوله تعالى " وإذا العشار عطلت " والمفرد : ناقة عشراء . يقال : عشرت الناقة تعشيراً أو عشرت – (أنظر اللسان مادة عشر).

(٤) أوس بن حجر – والقصيدة فى ديوانى أوس وعبيد بن الأبرص ديوان عبيد : ٣٣ تحقيق د. حسين نصار – وفى اللسان مادة حبا منسوب إلى أوس.

(٥) ذو نفر: اسم موضع وبه وردت رواية اللسان (مادة حبا) – وبرك الجمل : صدره – والكتاف : ما يشد به – وكتفه : شد يديه من خلفه بالكتاف.

وقال أبوهم

وألقى بصحراء الغبيط بعاعه تزول اليمانى ذى العياب المحمل (١).

قال ومن ذلك قولهم فى أسماء الحاجة:

الحاجه ، والحوجاء ، واللوجاء ، والأرب ، والأربة ، والمأربة ، واللبانة ، والتلاوة – بقية الحاجة – والتلية أيضاً – والشهلاء.

قال الشاعر:

لم أقض حين ارتحلوا شهلائى من الكعاب الطفلة الغيداء (٢).

وأنت تجد مع ذلك من اختلاف أصولها ومبانيها جميعاً راجعاً إلى موضع واحد، ومخطوماً بمعنى لا يختلف وهو الإقامة على الشئ والتشبث به – وذلك أن صاحب الحاجة كلف بها ملازم للفكر فيها مقيم على تنجزها واستجثائها قال رسول الله (ﷺ) : " حبك الشئ يعمى ويصم (٣) – وقال المولد:

صاحب الحاجة أعمى لا يرى الا قضاها

وتفسير ذلك أن الحاج: شجر له شوك، وما كانت هذه سبيله فهو متشبث بالأشياء، فأى شئ مر عليه اعتاقة وتشبث به–فسميت الحاجة تشبيها بالشجر ذات الشوك، أى أنا نقين عليها ومتمسك بقضائها كهذه الشجرة فى اجتذابها ما مر بها، وقرب منها، والحوجاء منها، وعنها تصرف الفعل: احتاج يحتاج احتياجاً، وأحوج يحوج–وحاج يحوى فهو حائج.

واللوجاء من قولهم: لجت الشئ ألوجه لوجا. إذا أدرته فى فيك.

---

(١) أبوهم: يعنى امرؤ القيس وهو من خير وصافى السحاب.

البيت من معلقة امرئ القيس. صحراء الغبيط : موضع.

البعاع السحاب المثقل بالماء – العياب: جمع عيبة: وهى وعاء من أدم يكون فيه المتاع – ويريد باليمانى المحمل: الجمل – ومن روى المحمل: أراد التاجر اليمانى ينزل ويقيم حتى يبيع بضاعته – وفى الديوان: المحمول: أى الكثير المتاع والخول – (أنظر الديوان ٢٥ تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم – دار المعارف).

(٢) اللسان: مادة (شهل) – روايته من العرب الكاعب الحسناء. أى تجد جميعها راجما.

خطمت البعير: جعلت فيه الخطام وهو حبل ربط به ليقاد – والخطم من الطائر منقاره، ومن الدابة : مقدم الأنف والفم.

(٣) فى الجامع الصغير (حرف الحاء) وفى شرح الجامع أن اسناده ضعيف.

والتقاؤهما أن الحاجة مترددة على الفكر، ذاهبة جائية إلى أن تقضى، كما أن الشئ، إذا تردد فى الفم فإنه لا يزال كذلك إلى أن يسيغه الإنسان أو يلفظه.

والارب ، والاربة والمأربة ، كله من الاربة وهى العقدة ، وعقد مؤرب ، إذا اشتد ، وأنشد أبو العباس (١) لكناز بن نفيع (٢) يقول لجرير:

غضب علينا أن علاك بن غالب فهلا على جديك اذ ذاك تغضب هما حين يسعى المرء مسعاه جده أنا خا فشداك العقال المؤرب (٣).

والحاجة معقودة بنفس الإنسان مترددة على فكره.

واللبانة من قولهم. تلبن الشئ إذا أقام به ولزمه – وهذا هو المعنى عينه.

والتلاوة والتلية من تلوت الشئ إذا قفوته واتبعته لتدركه. ومنه قوله:

الله بينى وبين قيمها يفر منى بها واتبع (٤).

والاشكلة كذلك وكأنها من الشكال (٥) أى طالب الحاجة مقيم عليها، كأنها شكال له، ومانعه من تصرفه وانصرافه عنها، ومنه : الأشكل من والشهلاء كذلك لأنها من المشاهلة وهى مراجعة القول قال (٦).

قد كان فيما بيننا مشاهلة ثم تولت وهى تمشى البادلة

البأدلة: أن تحرك فى مشيتها بأدلها، وهى لحم صدرها – وهى مشية القصار من النساء.

فقد ترى إلى ترامى هذه الأصول والميل بمعانيها إلى موضوع واحد.

---

(١) اللسان: مادة أرب : يعنى : ثعلبا.

(٢) من شعراء تميم.

(٣) ابن غالب: الفرزدق: يريد أن الفرزون سعى كجدية على حين قعد بك جداك، وذلك هو العقال المؤرب حقا – ورفع العقال على أنه خبر لمبتدأ محذوف – ويرى المبرد: أنها بدل اشتمال من ضمير شداك – أنظر الخصائص جـ ٢ صـ ١٢٨ حاشيه ٦.

(٤) البيت للأحوص: والضمير فى قيمها يعود على لبنى المذكورة سابقاً.
أنظر الشعر والشعراء ٢٠٤ / والأغانى ٤ / ٢٤٧.

(٥) الشكال: حبل تربط به الدابة من يدها ورجلها لئلا تغادر مكانها.

(٦) أبو الأسود العجلى اللسان: مادة: شهل وبازل – وفى اللسان أن الصواب : البازلة.

ومن ذلك ما جاء عنهم فى الرجل الحافظ للمال: الحسن الرعيـة لـه، والقيـام عليه، يقال: هو خال مال – وخائل مال، وصدى مال، وسرسور مال، وشؤبان مال، ومحجن مال، وأزاء مال، وبلو مال، وحبل مال، وعسل مال، وزر مال وجميع ذلك راجع إلى الحفظ لها (١)، والمعرف بها.

فخال مال (٢) يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون صفة على (فعـل) كبطـل وحسن " أو (فعل) ككبش صاف: ورجل مال، ويجوز أن يكـون محـذوفاً مـن فاعلى، كقوله (٣).

" لاث به الأشاء والعبرئ (٤).

فأمخا خائل مال ففعال لا محالة، وكلاهما من قوله: كـان رسـول الله (ﷺ) يتخولنا بالموعظة، اى يتعهدنا بها شيئاً فشيئاً ويراعينا (٥) قال أبو على : هو من قولهم تساقطوا أخول أخرى: أى شيئاً فشيئاً بعد شئ– وأنشدنا : (٦).

يساقط عنه روقه ضارياتها سقاط حديد القين أخول أخولا

فكأن هذا الرجل رعى ماله وتعهد حفظاً له وشحا عليه.

وأما صدى مال فانه يعارضها من هاهنا وهاهنا ولا يهملها ولا يضيع أمرهـا، ومنه الصدى لما يعارض الصوت . ومنه قراءى الحسن (ﷺ) : " صاد والقرآن " وكان يفسره : عارض القرآن بعملك أى قابل كل واحد منهمـا بصـاحبه – قـال العجمى (٧) " يأتى لها من أيمن وأشمل " (٨)

وكذلك سرسور مال: أى عارف بأسرار المال، فلا يخفى عنه شئ من أمره، ولست

---

(١) المال يؤنث ويذكر – (المال : ثورة).

(٢) الخائل: الحافظ للشئ، الرجل يخول على عياله، وخال المال يخوله: إذا ساسه ولحسن القيـام عليـه – والخولى : القائم بأمر الناس، الخول : الرعاة – والخولى : الراعىالحسن القيام على المال والنعم.

(٣) العجاج – من أرجوزة له.

(٤) فى وصف أيك. لاث أصله لاثث من لاث يلوث ووزنه فالع والأشاء: صغار النخل – والعبـرى: مـا ينبت من شجر الضال على الشطوط، أى أنه كثير النبات والماء.

(٥) اللسان: التخول : التعهد – والحديث نفسه.

(٦) ضابى بن الحارث البرجى (اللسان – مادة خول).

(٧) وهو فى وصف الثور – ومدافعته للكلاب – والروق: القرن.

(٨) أبو النجم العجلى – ومن أرجوزة له.

أقول كما يقول الكوفيون، وأبو بكر معهم (١).

ان سرسور من لفظ السر، لكنه قريب من لفظة ومعناه – بمنزلـــه عـــين ثـــرة وثرثارة وقد تقدم ذكر ذلك (٢).

وكذلك سوبان مال، هو (فعلان) من الساب، وهو الزق للشراب.

قال الشاعر:

اذا ذقت فاها قلت علق مدمس أريد به قيل فغدر فى ساب (٣).

والتقاؤهما أن الزق أنما وضع لحفظ ما فيه. بكذلك هدا الراعى يحفـــظ المـــال ويحتاط عليه احتياط الزق على ما فيه.

وكذلك محجن مال: هو (مفعل) من احتجنت الشئ اذا حفظته وادخرته.

وكذلك ازاء مال هو (فعال) من أزى الشئ يأزى اذا تقبض واجتمع.

قال (٤)

" ظل لها يوم من الشعرى أزى " (٥)

أى يغم الانفاس ويضيقها لشدة الحر – وكذلك هذا الراعى يشح عليها ويمنع من تسربها وأنشد أبو على عن أبى بكر لعمارة:

هذا الزمان مول خيره آزى صارت رؤس به أذناب أعجاز

---

(١) والبيت فى وصف الراعى .

(٢) أبو بكر: يقصد محمد بن السرى السراج.

(٣) الخصائص حـــ ٢ ص ـــ ٤٤ – تدخل الأصول الثلاثية والرباعية والخماسية – وفيه أن أبا بكر قـــال فى نحوه وثرثارة: أن الأصل فيها ثرثارة فأبدل من الراء الثانية ثاء فقالوا ثرثارة – وكذلك طرد هـــذا الطرد . وهذا وأن كان عندما غلظ لا بدال الحرف مما ليس من مخرجه ولا مقاربا فى المخـــرج لـــه، فانه شق آخر من القول حـــ ٢ ص ـــ ٥٥.

(٤) انظر اللسان: مادة سأب، وفى المحيط : النفيس من كل شئ والعتيق من الخمر علق – والعلق الخمـــر لنفاستها – والمدمس : المخبوء.

قائل الرجز من باهلة – وتتمته : نعود من بزر أنيق الركى.

(٥) يوم أز: يغم الأنفاس من شدة حره، والشعرى : كوكب يطلع فى شدة الحر والزرانيق : جمع زرنـــوق وهو دعامة البئر ويجعل على كل زرنوقين خشبة تعلق فيها البكرة – والركى: جمع ركية : وهى البئر – انظر مادة أزى ومجالس ثعلب حـــ ٢ صـــ ٦١٤.

وكذلك بلومال، أى هو بمعرفته به قد بـــلاه واختبـــره – قـــال الله ســـبحانه: " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم " (١).

قال عمر بن لجأ (٢).

فصادفت أعصل من أبلائها يعجبه النزع على ظمائها (٣).

وكذلك حبل مال، كأنه يضبطها، كما يضبطها الحبل يشد بـــه، ومنـــه الحبـــل الداهية من الرجال، لأنه يضبط الأمور ويحيط بها (٤).

وكذلك عسل مال: لأنه يأتيها ويعسل اليها من كل مكان، الـــذئب العســـول، ألا ترى أنه لنما سمى ذئبا لتذاؤبه (٥) وخبثه ومجيئه تارة من هنا ومرة من هنا.

وكذلك زرمال أى يجمعه ويضبطه كما يضبط الزر الشئ المزرور.

فهذه الأصول وهذه الصيغ على اختلاف الجميع مرتمية الى وضع واحد علـــى ما ترى.

ومن ذلك قولهم للدم: الجدية (٦) والبصيرة : فالدم من الدمية لفظـــاً ومعنـــى وذلك أن الدمية انما هى للعين والبصر – واذا شوهدت فكان ما هى صورته مشاهد بها وغير غائب مع حضورها . فهى تصف حال ما بعد عنك – وهذا هو الغـــرض فى هذه الصورة المرسومة للمشاهدة.

---

(١) سورة محمد: آية ٤٧-٣١.

(٢) ويقال عمر بن لحأ بالحاء المهملة وهو بالمعجمة أشهر قال فيه جرير:

أنت ابن برزة منسوب الى لحأ عند العصارة والحيدان تحتضر

وبرزه: لمة – ولحاء الشجر لا عصارة له أنظر الخزانة ١ / ٣٦٠، وتاج العروس: ١/ ١١٥.

(٣) الاعصل: اليابس البدن وهو قوة له، والنزع : نزع الدلو من البئر.

(٤) عسل الذئب عسيلا وعسلانا: أعنق وأسرع والعسل فى السير الخبب.

(٥) ذوب الرجل – وذئب: خبيث – ومما يروى عن سيبوية أنه كان ذات يوم فى حلقة، فهبت ريح أطـــارت الورق، فقال لبض جلسائه أنظر أى ريح هى؟ وكان على منارة المسجد تمثال فرســـى مـــن صـــفر – فخرج الرجل فنظر التمثال ثم قال: ما يثبت الفرس على شئ. فقال سيبويه: العرب تقول فى مثل هذا : تذاءب الريح : أى فعلت فعل الذئب ليخيل : فيتوهم الناظر أنه عدة ذئاب (طبقات اللغويين والنحـــويين للزبيدى صـــ٦٨).

(٦) فى اللسان (مادة جدا) الجدية من الدم مالصق بالجسد، والبصيرة : ما كـــان علـــى الأرض . وقـــال اللحيانى : الدية : الدم السائل – وأما البصيرة فما لم يسل – وأجدى الجريح : سالت منه جدية.

وتلك عندهم حال الدم، ألا ترى أن الرمية اذا غابت عن الرامى استدل عليها بدمها فأتبعه حتى يؤدى إليها، ويؤكد ذلك لك قولهم فيه: (البصيرة) وذلك أنها اذا أبصرت أدت الى المرمىالجريح – وكذلك أيضا قالوا: (الجية) لانه يجدى على الطالب الرمية ما يبغيه منها، ولو لم ير الدم لم يستدل عليها ولا عرف موضعها قال (ﷺ) (كل ما اصميت ودع ما أنميت) (١).

وهذا مذهب فى اللغة طريف، غريب لطيف. وهو فقهها، وجامع معانيها، وضان نشرها (٢) وقد هممت غير دفعه أن أنشئ فى ذلك كتاباً أتقصى فيه أكثرها والوقت يضيق دونه، ولعله لو خرج لما أقتعه الف ورقة الا على اختصار وإيماء (اليست تلك دعوة إلى دراسة هذا ا لباب وتتبع البحث فى هذا المجال).

وكان أبو على رحمه الله يستحسن هذا الموضوع جداً، وينبه عليه، ويسر بما يحضره خاطره منه.

وهذا باب انما يجمع بين بعضه وبعض عن طريق المعانى مجردة من الألفاظ، وليس كالاشتقاق الذى هو من لفظ واحد، فكأن بعضه منبهة على بعض وهذا إنما يعتنق فيه لفكر المعانى غير منبهتة عليها الألفاظ – فهو أشرف الصنعتين، وأعلى المأخذين فتفطن له، وتأن لجمعه، فانه يؤنقك ويضئ عليك، ويبسط ما تجعد من خاطرك ، ويريك من حكم البارئ – عز اسمه – ما تقف تحته – وتسلم لعظم الصنعة فيه وما أودعته أحضانه ونواحيه.

بدأ ابن جنى حديثه بتحليل نماذج من ظاهرة الترادف وما يتصل بها، ومن خلالها تعرض تعرضا سريعا لظاهرة المشترك اللفظى كما أنه عرج فى سرعة وخفة على ظاهرة التضاد، وكان فى كل لفتة من لفتاته يعطى بعدا جديدا نحن اليوم فى حاجة الى متابعته لا سيما بعد أن تباعد العهد بيننا وبين الناطقين الأولين للعربية وبعد أن تغيرت البيئة اجتماعياً وحضارياً تغيرا بعيدا وتغيرت معها المدلولات وأخذت الدلالات أبعادها المتطورة نحو التغير واستقرت بعض النماذج وارتبطت بمفهومات جديدة مستقلة كما انبثقت عنه.

---

(١) اصميت: ما اصبته فمات بين يديك – وأنميت : ما اصبته وغاب عنك ثم مات.

(٢) النشر: المنتشر: المتفرق.

واذا كان ابن جنى يرى أن هذا هو فقه اللغة ..، وأنه هم غير دفعة أن ينشئ فيه كتابا يتقصاه فيه، غير أن وقفه كان يضيق دونه يرى أن هذا الكتاب لو كان قد خرج لعله ما كان قد أقنعه أو كفاه ألف ورقة الا على اختصار وايماء .../... واذا كان ابن جنى يذكر أن أبا على الفارسى كان يستحسن هذا الموضوع جداً، وينبه عليه ويسر بما يحضره خاطره منه. فكيف لا نقف نحن أمام هذا المبحث على أهمية تلك وكيف لا نستوعبه ونفهم أبعاده.. لا سيما وأن ابن جنى يرى أن هذا الباب الإشتقاق (١) متكاملان غير أن هذا الباب عنده أهم من صاحبه أو هو على حد قوله: أشرف الصنعتين، وأعلى المأخذين – وفوق هذا وذاك فان ابن جنى يحضنا على حد قوله : اشرف الصنعتين، وأعلى المأخذين – وفوق هذا وذاك فان ابن جنى يحضنا على أن " نتفطن له " فالأفكار تعتنق فيه المعانى غير منبهتة عليها الألفاظ.

موقف علم اللغة

ومن عجب أن هذا الباب لم يتفطن له أحد من الباحثين على الرغم من أهميته غير أن الدكتور مازن المبارك جعله فى كتابه ضمن النصوص اللغوية التى اختارها من كتابى الخصائص والمزهر ولكنه أخذ يغض عن عمل ابن جنى فى هذا الباب فى مواضع متعددة من تعليقاتها فى حواشيه فهو مثلاً يقول:

" ولسنا ندرى مل ركب ابن جنى متن الشطط لاثبات رأيه ولو أدى به ذلك الى جعل الفارسى عربيا ".

وذلك راجع بالطبع إلى أن منهج ابن جنى فى هذا الباب لم يكن يتفق مع منهج الدراسات اللغوية الحديثة التى كانت سائدة آنذاك (٢) وقد جعل بعض المحدثين من علمائنا أقوال الغربيين مبادئ منزله (٣).

وهذا ما دفع الدكتور ابراهيم أنيس الى أن يغفل النظر فيه أو التعليق عليه مع العلم بأن فيه كل الإجابات التى طلبها وتعوض لها توضيح ذلك أن الدكتور ابراهيم أنيس

---

(١) المقصود الاشتقاق بنوعيه الاشتقاق الأصغر والاشتقاق الأكبر.

(٢) كتابه: النصوص اللغوية دار الفكر. حاشية (٤) صـ ٣٣.

(٣) تغيرت مناهج الدراسات اللغوية ولم يعد المنهج الوصفى هو كل المناهج، فأخذت المدارس اللغوية الغربية اليوم يعارض بعضها بعضا وتعددت مناهجها.

يقول.

" والا ترتب على هذا أن نتصور نوعاً من الارتباط بين حروف الفعل (أدراك) وحروف الفعل فهم لان لكل منهما نفس الدلالة، وهو ما لا يقبله اللغوى الحديث كما يترتب على هذا أن ننكر من اللغة تلك المئات من الكلمات التى اشتركت لفظا واختلفت معانيها اختلافا بينا (١).

وفى الباب الذى بين أيدينا يرد ابن جنى على مثل ما اثاره الدكتور أنيس من اعتراضات فى هذا الصدد.

ويهمنا أن نلتفت فيما قاله ابن جنى الى عدة نقاط منها:

- أن ابن جنى يتحدث عن صيغ وأوزان صرفية هامة.
- هذا بالإضافة الى أن حديثه جاء عن بنيات شكلية ومعناه أن هذه البنيات تستغرق كل ما يصلح أن يتضمنه النموذج الذى يتحدث عنه وما يتصل به من دلالات .. بصرف النظر عن الرمز الصوتى الذى يندرج تحت تلك البنية الشكلية غير أنها هنا تجمع ما هو خاص بصفة واحدة.

فعلية

طبيعة

ضريبة

غريزة

نقيبة

سليقة

- أضف الى ما سبق أن علماء اللغة المحدثين يرون أن من أهم جوانب اللغة جانب التبليغ وينظرون فى عملية التبليغ (Destinotion) الى ضرورة وجود اتفاق بين التبليغ واللغة.

وأن الإنسان بفضل تكوينه الفيريولوجى، وتجاربه الماضية، ومدركاته الحسية والعقلية يجعل عملية التبليغ دائماً على مرحلتين هما:

وضع الصياغة (Codage)

---

(١) اقرأ هذا الرأى فى كتابه من أسرار اللغة صـ ٤٦.

كشف الصياغة (De codage)

وأن لكل لغة من اللغات نظام (Systeme) من الرموز المتعارف عليها، ولـذا لابد من صحة الرموز أى اعتبار جانب المشابهة أو المطابقة أو المقاربـة ... (أى وجوب الصدق فى الخير .. بمعنى المطابقة والربط بين الحسى والمعنوى ويقوم ابن جنى بتوضيح مثل هذا فى هذا الباب).

مع ملاحظة أن المتكلم والمخاطب يتبادلان الأدوار ما بين اسـتماع وتكلـم أو ارسال واستقبال (١).

أنه اذا وجد فى بيئة ما بين جماعة من المتكلمين (شئ) ما – وتطلـب هـذا الشئ رمزا لغويا – وأطلق (متكلم) رمزا على هـذا الشـئ – وتلقتـه جماعـة المتكلمين بالقبول فان الرمز يعود الى مرسله بالقبول، كما أنه يعود إلـى مصـدره (الى الشئ) بالقبول أيضا أى تتم عملية الصياغة.

---

(١) من أسرار اللغة صـ ٤٦.

والخلاصة أن هذه تقوم على خمسة أمور:

١- مصـــدر Source ٢- منتهـــى Destination ٣- جهـــاز أرســـال Transmetter

٤- ممر Canal ٤- جهاز التقاط Recepteur

مع ملاحظة أن الادراك يحصل عن طريق الحواس، وأن الشئ الذى ندركه قد ينقطع عند انقطاعنا عن ادراكه .. ويفهم من عمل ابن جنى الربط بين هذه الأمـــور الخمسة فى تسلسل بارع مبعثه معايشة اللغة وأبنائها وفهمه الجيد لأعماقها وأغوارها وهذا من المباحث الهامة التى تشغل بال المتخصصين فقد ربط الفيلسوف الانجليزى جون لوك John locke مشكلة المعرفة بقضايا اللغة حيث يقول : أننا اذا أردنـــا أن نفهم طبيعة التفكير والمعرفة فلا بد قبل ذلك من أن نفهم طبيعة اللغة التى بها نفكـــر ونوصل أفكارنا إلى الغير .. والكلمات اشارات أصطلح عليها ولكنها ى تنوى عـــن الأشياء بصورة مباشرة ولكنها تنوب عن الافكار القائمة مقـــام الأشـــياء – فالكلمـــة تنوب عن الفكرة، والفكرة تنوب عن الشئ (١) وقد أوضح ابن جنى هـــذا البعـــد اللغوى الخاص بالعربية مع تفقه تام وعرضه من خلال فهمه فى اطار، وضع مـــن خلاله منهج التفكير والتطبيق معا رابطا بنية اللغة ببنية الفكر وبنية الوجود معا مـــن خلال تعامل العربى مع المدركات الحسية التى يعايشها ولذا كانت بنيـــة Structure اللغة قائمة على بنية الوجود من جهة وعلى بنية الفكر من جهة أخرى .... فمعنـــاه أن بنية اللغة قائمة على بنية الوجود وعلى بنية الفكر البشرى معا ... / ... وهـــذا يمثله المثلث المعروف لدى الدارسين فى هذا المجال ... ولكن علـــى ألا نفهـــم أن مجموع ما فى اللغة من كلمات لا يحصى مجموع ما فى الكون من موجـــودات لأن هذا لا يمكن أن يكون.

كما أن ما نحسه بين الكلمات والمدلولات انما هو أمر اعتمـــد علـــى التجربـــة اليومية فعملية التعرف على الدال والمدلول فى كل لحظة من لحظـــات الاســـتعمال اللغوى تقرب بينهما عى حين أنه ليس هناك مطابقة بين الاسم والمســـمى أو بـــين الدال والمدلول ومعنى ذلك أن كل ما قيل بعيد عن الرمزيـــة الصـــوتية وان كانـــت هناك محاولة لإيجاد المطابقة بين

---

(١) أنظر: محاضرات فى علم النفس اللغوى. د. حفنى بن عيسى – واقرأ: الفصل الثانى اللغـــة ومشـــكلة المعرفة .. من صـــ ٣١ وما بعدها.

الدال والمدلول من وجهة نظر الناطقين باللغة – فان بنيـــة اللغـــة لا تطـــابق بنيـــة الوجود، كما أن بنية اللغة لا تطابق الخبرة الذاتية أو التجربة وهذا أمر واضح أمـــام المتخصصين فكثيراً ما تكون الكلمات بعيدة عن المحسوس أو عاجزة عـــن التعبيـــر عنه – أو عما فى الذهن .. والأمثلة على ذلك كثيرة فى اللغة ومما ذكر ابن جنـــى ومعناه أن الرمزية الصوتية شئ مرفوض لعدم أمكانه.

وأن دراسة هذا الموضوع تؤكد ذلك.

وأن نظرية ابن جنى فيما نحن بصدده بعيدة عنه هى الأخرى.

وابن جنى فى دراسته هذه أسبق وأعمق من العالم النمساوى " بـــوهلر " الـــذى يقول: أن الكلام دليل الحالة العقلية للمتكلم ورمز للرسالة، وتنبيه للسامع فابن جنـــى من خلال دراسته العملية التطبيقية لهذا الباب أرسى دعائم هذا المبدأ وأكده.

واذا كان ستيفن أولمان يرى من وظائف الكلام الأساسية: أنه معبر، وموصـــل ومؤثر فقد قدم ابن جنى من خلال دراسته لهذا الباب هذا المبدأ أيضاً علـــى دعـــائم نظرية تؤكد الدراسة التطبيقية العملية.

واذا وضعنا أمامنا تحليل الأستاذين " أجدن" وريتشاردز فـــى كتابهمـــا معنـــى المعنى والذى يمثله مثلثهما المشهور – حيث يذهبان إلـــى وجـــود عوامـــل ثلاثـــة تتضمنها اية علاقة رمزية وذلك على نحو ما سبق أو أوضحنا فى الحديث عما قدمه ابن جنى من خلال بابه هذا فاننا نلمح فى أعمال ابن جنى هذه العوامل الثلاثة وهى على نحو ما أوضحناه:

- الرمز نفسه
- المحتوى العقلى الذى يحضر فى ذهن السامع حين يسمع الكلمـــة ؟ وهـــذا المحتوى قد يكون صورة بصرية أو حتى مجرد عملية من عمليات الربط الذهنى – وهذا ما سماه العالمان " بالفكره " أو الربط الذهنى Reference وهذا ما دار مـــن حوله تحليل ابن جنى فى الأمثلة السابقة.
- الشئ نفسه الذى ارتبط ذهنيا بشئ آخر – وهذا الشئ قد سماه المرتبط ذهنياً Reference

المبحث السابع: من معطيات الثقافات والفكر وأثر ذلك فى إثراء العربية نماذج وأمثلة تطبيقة

بعد أن تحدثنا عن علاقة اللفظ بالمعنى وأهمية هذه العلاقة وما توصلنا إليه من أنه لا بد أن يكون هناك مدلول تدل عليه الألفاظ وإلا لأصبحت هذه الألفاظ قوالب فارغة لا حس فيها ولا حراك لأن القيمة الحقيقية للألفاظ هو أداء معنى وتعبير عن إحساس وأفكار المتكلم واستجابة من السامع لهذا الكلام وفهم ما سمعه وإلا فإن اللغة تكون عاجزة عن أداء وظيفتها وهى التفاهم بين أفراد المجتمع الواحد المتلاغين بلغة واحدة.

وبعد: تتوقف حياة الإنسان فى كثير من القضايا على فهم النصوص فهماً صحيحاً ودقيقاً، ففى ميدان السياسة والحقوق والقانون مجالات كثيرة للاختلاف على دلالة الألفاظ، وفى المعاهد الدولية والاتفاقات التجارية والاقتصادية، وفى ميدان الدين وخاصة الفقه الإسلامى تحتل النصوص موقفاً خاصاً ويتعلق على فهمها تحديد الأفكار فى العقائد والأحكام فى قضايا المعاملات والعبادات، ويقع لذلك الاختلاف فى فهم مراد الشارع وتحديد معانى الألفاظ فى القرآن الحديث.

ففى مجال السياسة نجد أقرب مثال على دلالة الألفاظ ما جاء فى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بخصوص العدوان الإسرائيلى على الأراضى العربية عام ١٩٦٧ والقاضى بانسحاب اسرائيلى من جميع الأراضى العربية المحتلة فكلمة Land بمعنى الأرض ترجمها المترجم الانسحاب من أرض عربية لأن أداة التعريف The لم تكن مسبوقة بكلمة Land ومن هنا جاء الاختلاف على الانسحاب هل هو من كل الأرض المحتلة أم من بعضها.

أما فى مجال الدين فقد عنى علماء أصول الفقه بكثير من مسائل الألفاظ ودلالاتها وبحثوا فى العام والخاص والحقيقة والمجاز والمشترك والمترادف مع أنها من مسائل علم اللغة لأن استنباط الأحكام من النصوص منوط فى كثير من الأحيان بتحديد الرأى فى فهم هذه المسائل اللغوية وتمحيصها وتحليلها (١).

---

(١) فقه اللغة وخصائص العربية د. محمد المبارك صـ ١٥٩.

ولابن جنى فى هذا الباب كلام يدل على نفاذ فكر ودقة فهم ذلك قوله: " إن أكثر من ضل من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة إليها – فإنما استهواه ضعفه فى اللغة الكريمة الشريفة التى خوطب الكافة بها " (١).

وأصل الاعتقاد التشبيه لله تعالى بخلقه فيها. أنهم سمعوا قول الله سبحانه وعلا عما يقول الجاهلون علواً كبيراً، (يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله) (٢) وقوله عز اسمه (فأينما تولوا فثم وجه الله) (٣) وقوله (مما عملت أيدينا) (٤) وقوله (ويبقى وجه ربك) (٥) وقوله (والسماوات مطويات بيمينه) (٦) ونحو ذلك من الآيات الجارية هذا المجرى.

وقوله فى الحديث (خلق الله آدم على صورته). حتى ذهب بعض الجهال فى قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) إنها ساق ربهم، ونعوذ بالله من ضعف النظر وفساد المعتبر (٧).

ونضيف إلى ما تقدم على تعلق فهم النصوص ببحث دلالة الألفاظ أن تذوق النصوص تذوقاً سليماً، ومعرفة مواقع الألفاظ، ومعرفة مواطن الجمال ومواضع الدقة، وبراعة القول فيها، يمكن أن يعين على حصول ملكته وتنميتها الإطلاع على هذه المباحث اللطيفة من علم اللغة. مباحث دلالة الألفاظ وما يكون للفظ من معان متعددة تتناوب فى الظهور بحسب سياق الكلام وما يلقيه الاستعمال من ظلال على اللفظ زما يتعاقب عليه خلال العصور من معان وبذلك يعين هذا النوع من علوم اللغة النقد الأدبى على آداء وضيفته بما يمده به من نظرات وفيرة فى قوانين الألفاظ.

على أن البحث فى معانى الألفاظ لا تقتصر فائدته على مثل هذه الفوائد العملية والثمرات الأدبية فحسب بل أن له مع ذلك نتائج علمية وقيمة نظرية، ذلك أنه طريق لكشف بعض الحقائق المتعلقة باللغة، وصلتها بأهلها، بعقليتهم وبيئتهم وعاداتهم. فإن فهم لغة من اللغات يتوقف بداهة على معرفة مفرداتها وتركيبها.

---

(١) الخصائص: ابن جنى جـ ٣ صـ ٢٥٠.

(٢) سورة الزمر: آية ٣٩.

(٣) سورة البقرة: آية ١١٥.

(٤) سورة يس: آية ٧١.

(٥) سورة الرحمن: آية ٢٧.

(٦) سورة الزمر: آية ٦٧.

(٧) الخصائص: ابن جنى جـ ٣ صـ ٢٥٠.

نماذج وأمثلة لألفاظ قديمة ذات دلالات قديمة ثم تطورت بسبب التطور الثقافى

لقد شغل التراث العربى جوانب متعددة من الدرس الحديث، وقد ظهرت تجاهه مواقف متباينة. فعلى حين وقف فريق من الدارسين أمام هذا التراث موقف الزاهد فيه والمنصرف عنه إلى ما تبثه الحضارة الغربية الحديثة، وقف آخرون أمامه موقف التقديس وعدوا كل ما ورثوه جديراً بالتعظيم وأحسوا بقدر غير قليل من النقص أمام التراث وعدوه شكلاً ومنهجاً ينبغى احتذاؤه والسير ضمن حدوده ومعطياته.

أما أصحاب الموقف المعتدل وهم الوسطيون فقد انطلقوا من المحافظة على التراث وبعثه وتوظيفه فيما يلائم حياتنا المعاصرة، واتخذوه معيناً يستقون منه التجارب والمعارف، وسعوا إلى الأخذ بالمناهج الصالحة من الثقافات المعاصرة. ومن الناحية الفنية وقف هؤلاء من الفن الشعرى موقفاً صحيحاً يقوم على رفض الادعاء بأن العبارة التقليدية أو الصورة القديمة أو الموضوعات لا تصلح لهذا العصر، وبالتالى فهى لا تستحق الحياة. ومن المؤكد لدى هؤلاء أن الأمر مرهون بالسياق الذى ترد فيه الكلمات وإخالها فى التجربة الشعورية. وهكذا نشأ ما يمكن أن يدعى بالاتجاه الوسطى القائم على تفاعل قطبى التراث والمعاصرة.

ما يتمثل فى الموروثات الأسطورية

أما المعطيات والرموز التى يمكن استمدادها من التراث فهى متعددة وجوانبها متشعبة، إذ حفل التراث العربى بالجوانب الرمزية والمعطيات الثقافية المؤهلة لإيصال ما لدى المبدع بأدق السبل الفنية وأغناها. والأمثلة على هذه الجوانب والمعطيات كثيرة، فمنها ما يتمثل فى الموروثات الأسطورية والخرافية التى انتهت.

نماذج وأمثلة

إلى حياة العرب فى الجاهلية فتداولوها وتناقلوا أحداثها، وتذكر – ههنا – على سبيل المثال رموز منها وادى عبقر وشياطين الجن والغول وشق وسطيح والعنقاء...

كذلك تقدم الأمثال والتراث الشعبى ثروة رمزية غنية بالشخصيات الأسطورية والتاريخية التى تنبئ بايسر السبل عن مفهومات تتعلق بالأنثروبولوجيا والإثنولوجيا والفولكا (١).

ومنها ما يتمثل فى الجانب الدينى

هناك جانب آخر من هذه المعطيات يتمثل فى الجانب الدينى بما فيه من أحداث وشخصيات ومذاهب فكرية وطرائق سلوكية. ومما يلاحظ فى هذا الجانب أن التراث الصوفى كان من أكثر الجوانب التى وظفها الشعراء المعاصرون لما يحفل به من رموز ومصطلحات وشخصيات متميزة.

ويضاف إلى هذا الجانب من حيث الاتصال بالموضوع والسيرورة لدى الشعراء ما يتعلق بالدين المسيحى ولا سيما ما يخص المسيح منه. ولعل من المفيد أن نوضح شيئاً يتعلق بالمسيح وهو ظهور هذا الرمز وردود الفعل التى جوبه بها. ومن الطريف أن بعض النقاد الذين كانوا يعدون فى صف الجديد طالبوا بحظر الشعر الذى تظهر فيه الرموز الأسطورية والمسيحية (٢). ويبدوا أن استخدام رمز المسيح كان الباعث على ذلك التشدد غير أن التفسير الحق يقوم على أن الشاعر الحديث يهتم بالدلالات الثقافية وما يستخلص منها من معان إنسانية، وهو غالباً ما يعريها من محتواها الدينى وينتقل بها من الدلالة الحرفية إلى المعانى الإيحائية الرمزية.

نماذج وأمثلة لجوانب أخرى من المعطيات

وفى جانب آخر من المعطيات التراثية يبدو التاريخ العربى ومعطياته شائع الاستخدام فى الشعر الحديث. وتجدر الإشارة – ههنا – على أن الصورة الأولى لظهور التاريخ فى شعرنا الحديث كانت مرتبطة بما يمكن أن يسمى ظاهرة المقارنة

---

(١) تعنى لكمة الأنثروبولوجيا (Anth. Opologie) علم الإنسان بوصفه كائناً ثقافياً من الجوانب السلوكية والاجتماعية واللغوية والشعائرية والثقافية عامة. ونظراً إلى لختلاف فى وجهات النظر وتعدد المصطلحات فإننا نحدد المقصود بهذه الكلمة فى عرفنا بالأنثروبولوجيا الثقافية Anthripologie culturelle التى تعنى دراسة الثقافة البشرية تحديداً. أما الإثنولوجيا Ethnologie فهى دراسة مقارنة للثقافة ذات طابع لجتماعى وتاريخى وجوانب سيكولوجية معينة. والفولكلور Folklore علم يدرس التراث الشعبى وخاصة التراث الشفاهى هادفاً إلى تفسير حياة الشعوب وثقافتها عبر العصور. للتوسع ينظر فى: (قاموس مصطلحات الإثنولوجيا والفولكلور)، تأليف إيكه هـولتكرانس، ترجمة محمد الجوهرى وحسن الشامى، دار المعارف بمصر، ط. أولى، (١٩٧٢م).

(٢) أنظر: نذير العظمة فى مقالته عن (بدر شاكر السياب والمسيح)، مجلة الفكر العربى، العدد ٢٦، آذار (١٩٨٢م)، صـ ١٧٧.

والبحث عن بديل للواقع. فالهجمات التى هددت كيان الأمة وحطت من قدرها، كان يقابلها التمسك بالتاريخ الذى يذكر بما كان من وحدتها وقوتها، والمعارك الحديثة بما كان فى أغلبها من اخفاق كانت تستدعى ذكر المعارك القديمة للتعويض وإثبات الجدارة عن طريق الانتماء إلى الأبطال الأوائل وأماكن حروبهم وجهادهم.

أما التراث الأدبى الذى غدا ثقافة متداولة فهو ينطوى على مادة نثرية وشعرية غنية فيها قيم إنسانية صالحة للبقاء وللتداول فى السياق الشعرى الحديث. ومن الطبيعى أن يكون تأثير الشعر القديم أكثر عمقاً وأوسع مدى لأن الشعر ألصق بالشعر أسلوباً ومفردات وطرائق تعبير. ومن الطبيعى أن يكون استخدام المعطيات الرمزية المستمدة من الشعر القديم تالياً لمرحلة الإحياء والبعث؛ لأن الرجوع إلى التراث الشعرى كان ضرورة من ضرورات النهضة الشعرية الحديثة إذ مضت قرون عديدة فصلت بيننا وبين ذلك التراث.

ومن المفيد حقاً أن نحدد الإطارين الزمانى والمكانى للتراث العربى المقصود ببحثنا. فالإطار المكانى يرتبط بوجود أصحاب التراث فيه غرباً وشرقاً وفى أعالى الشمال وأقاصى الجنوب، ومن الممكن التوسع فى الجوانب التراثية لتشمل التراث فى أصوله القديمة لدى الحضارات العربية في مصر واليمن وبلاد الرافدين والشام وغيرها إضافة إلى ما هو متناقل وشائع من التراث الجاهلى وما تلاه. أما الإطار الزمانى فهو متسع أيضاً، وبإمكاننا أن نعد من التراث كل ما وصلنا ابتداء من أقدم عصور العرب مما جاء على الرقم ودلت عليه الآثار حتى مطلع النهضة العربية الحديثة (١).

ويضاف إلى ما وضعنا من حدود الزمان والمكان معيار تحديد المعطيات التراثية الرمزية. فالمعطيات المذكورة ترد فى السياق الشعرى الجديد منقولة بالألفاظ، والألفاظ أو المفردات مواد لغوية متداولة يمكن النظر إليها – على أنها تراثية محددة – بالاستناد إلى ارتباطها بمرحلة تاريخية سابقة للنهضة الحديثة ودلالاتها على بيئة ثقافية غادرها التطور الاجتماعى والحضارى كذلك يتم تحديدها

---

(١) درج معظم الدارسين المحدثين على اتخاذ عام (١٧٩٨ م) منطلقاً للنهضة العربية الحديثة، وهو عام وصول حملة نابليون بونابرت إلى مصر.

بالاستناد إلى دلالة المفردات على أحداث خاصة، وأعلام ومفاهيم ثقافية سابقة. وليس من شك فى أن السياق هو الذى يقدم للباحث مفتاح التحديد الدقيق لكل دلالة ثقافية مستخدمة فى الشعر. ونضرب على ذلك مثلاً طريفاً لا تعقيد فيه وهو قول الأخطل الصغير فى لبنان (١).

وكن الجميع على خدود رياضه تختال فاطمة وتنعم مريم

فالتحليل الدلالى المعتمد عندنا فى هذا البحث يشير أولاً إلى مفهوم (وطن) وهى كلمة متطورة الدلالة لأن العرب أرادوا بالوطن مكان الإقامة أو الدار ثم تطورت الدلالة حديثاً لتدل على القطر أو مجموع الأقطار التى يسكنها شعب له خصائص مشتركة، كأن يقال: الوطن العربى مثلاً. أما التركيب الإضافى: وكن الجميع فهو مرتبط بمرحلة الوعى القومى الذى دعا إلى جعل الوطن للجميع على اختلاف دياناتهم (٢). ونأتى إلى موضع الدلالة الثقافية بعد أن نمر بالصورة المجازية (خدود رياضية)، والدلالة الثقافية ترتبط بالعلمين: فاطمة ومريم. وفاطمة – ههنا – ليست اسماً جاء به الشاعر اعتباطاً أو قرنه بالآخر: مريم اتفاقاً أو إقامةللوزن والإيقاع. ففاطمة ومريم دلالتان ثقافيتان ترتبطان بالدين لأن فاطمة تمثل فى استخدام الشاعر المسلمين ومريم تمثل المسيحيين، ومن الواضح أن الأولى مصدرها المرجعى فاطمة بن الرسول محمد (ﷺ) والأخرى مصدرها المرجعى مريم أم المسيح عليه السلام.

ويخرج من التحديد الذى اصطنعناه المفردات اللغوية الخاصة لغرض إبلاغى غير فنى، وهى مفردات مستمرة فى ظهورها على مدى زمنى متتابع، ولا يتحدد النظر إليها على اساس ارتباطها بعصر معين وإن كانت قد نشأت فعلاً فى بيئة خاصة ذات ظروف اجتماعية وثقافية معينة. فالمفردات العربية نشأت فى عصور سالفة قديمة غير أنها متداولة عندنا بوصفها رصيداً معجمياً وتراثاً ووسيلة للتواصل. والجانب الذى يمكن أن يقصى – ههنا – هو دراسة التطور الدلالى بالإضافات الخاصة بالاستعمال اللغوى.

---

(١) الأخطل الصغير: شعره، صـ ٤٤، دار الكتاب العربى، بيروت، ط . ثالثة، د. ت.

(٢) يبدو أن عبارة " الدين لله والوطن للجميع" كانت شعاراً من شعارات الفكر القومى إبان نشأته ينظر فى: على حاج بكرى، (العقلية العربية بين الحربين)، دار الرواد، دمشق، د. ت، صـ ٣٣.

من اهتمام المحدثين بالأثر التراثى

يقود الحديث عن حدود البحث إلى حديث يتصل باشكال الدرس القريبة من منهجنا ومصطلحاتها، إذ لا يمكن الادعاء بأننا نرد أرضنا بكراً لم تطأها أقدام المستكشفين. وإن أول ما يلاحظ فى هذا المجال هو الوقوف عند الجوانب التراثية بوصفها روافد مكونة لثقافة الشاعر، وتكاد لا تخلو دراسة أدبية تتعلق بالشعر والشعراء من إشارات إلى هذه الجوانب وإن تفاوتت من حيث القيمة والاهتمام.

غير أن تطور الدراسات الأدبية وتأثره بالمناهج اللغوية الحديثة أفسح طريقاً لدراسة ما يدعى فى دراسات متعددة بـ (الأثر التراثى)، وقد حوت الأجزاء المخصصة للجوانب الفنية فى دراسات كثيرة عدداً لا يستهان به من التطبيقات والملاحظات القيمة التى غدت نبراساً لكثير من الدراسات التفصيلية، وإن أوضح مثال لذلك هو دراسة الدكتور عز الدين إسماعيل عن (الشعر العربى المعاصر: قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية). كذلك يمكن أن نعد أجزاء من دراسة الدكتور إبراهيم السعافين فى هذا الجانب مع ملاحظة اقتصارها على دراسة (اثر الشعر القديم فى مدرسة الأحياء)، واتجاهها اتجاهاً أدبياً ونقدياً عاماً لا يخلو من وقفات موفقة عند الجوانب الفنية.

وإذا ما غادرنا هذه الدراسات فإننا نجد الأثر قد حظى باهتمام كبير لدى طائفة أخرى من الدارسين وهم دارسو الصورة الفنية تحديداً. ومن الملاحظ – ههنا – أن معظم الدراسات تؤثر مصطلح (الرمز) ولا سيما حين يتعلق الأمر بالأثر الأسطورى. وهناك نمطان بلاغيان يتعلقان بأشكال الاستخدام، أحدهما قديم وهو (التضمين) والآخر حديث وهو (الصورة) الإشارية). فالتضمين نمط بديعى يقوم على اقتباس شئ من القرآن أو الحديث ثم توسع فيه الشعراء المتأخرون حين بالغوا فى الاستمداد والاقتباس قاصدين الزخرفة والتزيين الشكلى.

أما مصطلح (الصورة الإشارية) فهو مصطلح حديث يدل على استمداد الشاعر شيئاً من شاعر سابق كأن يورد سطراً أو مقطعاً بين ثنايا كلامه، أو يستخدم لغته وإيقاعه فى تضاعيف لغته وإيقاعه. وقد لاحظ الدكتور نعيم اليافى أن " الصورة الإشارية كغيرها من الصور التى يخلق بها الشاعر الحديث عمله تعد جزءاً لا يتجزأ

من هذا العمل، ولبنة فى بناءه المتماسك، وليست مجـرد اقتبـاس أو عـدوان .. " (١).

أما مصطلحنا المفضل فى هذا البحث فهو (الدلالة الثقافية) التى تمتـاز مـن غيرها من المصطلحات من جوانب متعددة، منها أن الدراسة – ههنا – لا تتجه نحو تتبع التأثر والتأثير فى الشعر، وأنها لا تقتصر على دراسة جانب من جوانب التراث كاقتصار بعض المناهج على دراسة أثر الشعر وموروثاته، وإنما تتجه اتجاهاً شاملاً جميع المضامين الشعائرية والدينية والتاريخية والاجتماعية والأدبية ونميل فى هـذا الجانب إلى تحديد علماء الأنثروبولوجيا للثقافة التى تشمل عندهم " كل أشكال ونظـم الحياة التى تكونت عبر التاريخ، وتشمل تلك الأشكال والنظم كل ما يتصـل باللغـة، وبطريقة الحياة، والعادات، والتقاليـد، والمعتقـدات، وأنمـاط السـلوك السـائدة، والمبـادئ الأخلاقيـة، والموسيقى، والفن " (٢).

ومن الطبيعى أن الدلالة الثقافية بوصفها منهجاً لا تقتصر على دراسة التـراث القديم وإنما هى صالحة لتتبع الثقافات الحديثة ورموزها بل اساطيرها الجديدة.

وتمتاز الدلالة الثقافية من غيرها أيضاً بكونها محوراً مـن محـاور التحليـل الدلالى للمعجم الشعرى، فالمنطق فى التحليل منطلق دلالى مستمد من علـم الدلالـة الحديث وما قدمه علماء الأنثروبولوجيا من آراء وتطبيقات. أما الجانبـان الآخـران من الدراسة الدلالية فهما: الدلالة الحقيقية وما يلحق بها من تطور وظلال من خلال السياق الجديد وارتباطه بالظروف العامة للعصـر والتقنيـات الخاصـة بالشـاعر، والدلالة المجازية التى ترصد تطور الصورة الفنيـة بأنماطهـا البيانيـة ولا سـيما الاستعارة وما يلحق بها

---

(١) الراغى، د. نعيم، (تطور الصورة الفنية فى الشعر العربى الحديث)، اتحاد الكتـاب العـرب، دمشـق، (١٩٨٣م)، صـ ٣٥٤.

(٢) أنظر: (قاموس الإثنولوجيا والفولكلور)، صـ ١٤٣ – ١٦٩. وفاطمة محجوب فـى مقالتهـا عـن (الدلالة الثقافية للألفاظ الشعر)، مجلة الشعراء، دار الإذاعة، القـاهرة، ينـاير (١٩٧٧م)، العـدد الخامس، صـ ٣٧.

من جوانب لغوية ونقدية نحو دراسة التزامن الحسى Synesthesie (١)، والاستعارة المتبادلة بين الفنون (٢)، وغير ذلك من جوانب الدراسة التى يشقها النظر المتعمق.

ونخلص من هذه الإطافة السريعة إلى أن مصطلح الدلالة الثقافية يشمل عندناكل إشارة إلى الثقافة ولا سيما التراثية منها عبر أشكال متنوعة منها الاقتباس الحرفى عن طريق التضمين، ومنا المفردات التى تشير إلى حادثة أو عمل فنى أو علم من الأعلام أو موقف دون نقل العبارات التى قيلت بنصها، ومنها ايضاً شكل يقوم على استمداد البنى التركيبية والصورية من قصيدة سابقة وبناء قصيدة جديدة توحى بها أو تثير مقارنة بين موقفين من غير أن تتقيد بشروط (المعارضة) التقليدية أو تكون هادفة إليها أصلاً. ولا شك فى أن الباحث يميز أشكلاً أخرى من الدلالة الثقافية التى ترقى إلى مستوى الرمز غير أن اتجاه الدراسة عندنا لغوى دلالى لا يمس الجوانب الفنية والنقدية إلا من خلال اتصالها بقضايا الدلالة، وتشكل الدراسة- بهذا المنحى - مدخلاً للدراسة النقدية المتخصصة دون أن تدعى القيام بوظيفتها، وهى أيضاً شكل من أشكال الاتصال بين الدراسة الإدبية واللغوية.

ولا شك فى أن نتائج التطبيق الواسع للدلالة الثقافية فى الآثار الشعرية تخدم اللغة ولا سيما المستوى الشعرى من لغة الأدب، إضافة إلى تقديمها مادة صالحة للاستخدام النقدى الذى يقلل – عن طريق الإفادة منها _ من المزالق التى يقع فيها عدد من النقاد الذين يكتفون بالوجهة المضمونية الخالصة من غير التفات إلى معمارية النص وبناءه اللغوى.

---

(١) التزامن الحسى هو عبارة عن وصف المدرك الحسى المتعلق بحاسة معينة بلغة حاسة أخرى أى بالمفردات المختلفة بها، نحو وصف الصوت بأنه قرمزى، ورشف العين الأنين، وإطلاق صفة (حلو) على المناظر والروائح والأنغام.

(٢) الاستعارة المتبادلة بين الفنون مصطلح غير مستقر دلالياً، وهو يدل على تبادل الفنون الجميلة المواقع عن طريق التعبير عن أدواتها وأشكالها وموادها فى الشعر، كأن يقال: رسم الشاعر لوحة أى صاغ مقطعاً تصويرياً، واستعمال كلمة قيثارة أو ناى للدلالة على الشاعر وشعره.

من الدلالات الشائعة لمصطلح الرمز

يبدو من الضرورى قبل أن نعرض خطوط العلاقة بين التراث والشعر الحديث أن نقف عند بعض الدلالات الشائعة لمصطلح (رمز) لما له من ارتباط بدراسة التراث الدلالة. وإن أول ما يصادفنا دلالة رمز على (الكلمة) لفظاً ومعنى أى ما دعاه اللغوى (سوسير) F. de Saussure بالرمز اللغوى Signe الذى يتألف من وجهين هما الدال Signifiant وهو الصورة الصوتية (اللفظ) ومن المدلول Signifie وهى الصورة المفهومية (المعنى) (١). وقد ذهب (سوسير) إلى مدى أبعد حين افترض علماً لدراسة الرموز وهو ما دعاه بـ (Semiologie) وجعل اللغة أحدى منظوماته التى تشمل نظام المأكل والألقاب والألوان وشارات السير و (الموضة)..

أما مفاهيم الرمز الأخرى التى تنطوى تحت مصطلح Symbole فهى شديدة الاختلاف، فالرمز يستعمل فى الرياضيات والكيمياء والفيزياء، كما يظهر فى جانب آخر بعيد لدى الصوفية وأرباب الشعائر والطقوس والعرافين، كذلك يتخذ الرمز صفة المصطلح المفضل لدى المحللين وعلماء النفس المحدثين.

وإذا ما استبعدنا دلالات الرمز الأدبية لما يكتنفها من تعقيد، فإننا نميز بين نمطين من الرمزية ونمطين آخرين من الاستخدام الرمزى. فالرمزية نمطان: رمزية خاصة وأخرى عامة. فالرمزية الخاصة تتضمن منظومة، وباستطاعة الدارس المجد أن يؤول الرمزية الخاصة كما يحل مفسر الشيفرة رسالة غريبة (٢)، ويهدف لكتشاف الرمزية الخاصة إلى الوصول إلى تضمينات الشاهر الشخصية ويستعان فى المرحلة الأولى من كشفها بطريقة إحصائية.

أما الرمزية العامة – وهى الأقرب إلى مصطلحنا – فهى تتجلى فى استعمال الرموز التراثية من شخصيات أسطورية وتراثية وجوانب الثقافة والشعائر التى تشكل ذخراً لا ينفذ من الدلالات التى لا يمكن أن تستوعبها أية لغة لفظية، ولذلك كان ذلك البعد الكينونى

---

(١) أنظر: ده سوسير، (محاضرات فى الألسنية العامة)، ترجمة يوسف غازى ومجيد النصر، دار نعمان، لبنان، ١٩٨٤م، صـ ٢٧، (٨٧- ٩٢).

(٢) أنظر: رينيه ويليك وأوستن وارين،(نظرية الأدب)، ترجمة محيى الدين صبحى، مراجعة د. حسام الخطيب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط. ثانية (١٩٨١م)، صـ ١٩٧.

بين اللغة الخطابية ولغة الثقافة، إذ إن الأولى تقتصر على تكرار الترميزات عن ثوابت الحياة اليومية التى يمكن أن تختزل إلى كمية لفظية وعمق دلالى محدودين، فى حين أن لغة الثقافة تكوين غير محدود يريد أن يحقق صيرورة اللغة ثقافة (١).

واستناداً إلى ما سبق نرى أن المستوى اللغوى للشعر العربى الحديث ترقى باجاه الثقافة التراثية ولا سيما الأسطورية، ومن هنا يبز دور الدراسات التى تسهم فى عملية (توصيل) الشعر إلى قارئه عن طريق تحليل مستواه الدلالى والثقافى. ومن الملاحظ أن ظهور بعض الدراسات فى هذا المجال – على قلتها – أبعد إلى حد ما خطر الشعر الحديث مستوى لغوياً خاصاً به يبعده عن المتلقين والدارسين.

أما الاستخدام الرمزى فهو غير مقتصر على أصحاب المدرسة الرمزية Symbolisme التى ظهرت نحو عام (١٩٨٥م)، وغير مقتصر أيضاً – فى جانبه المتعلق بالرمزية العامة – على إيليوت ومعاصرية من الشعراء؛ لأن الاستعمال الرمزى العام يمكن أن يكون فى الشعر القديم كما هو فى الشعر الحديث، وقد اثبتت بعض الدراسات الحيثة استعمال القدماء من الشعراء لكثير من الرموز الأسطورية والمعطيات الثقافية (٢).

إن استخدام مصطلح (الرمز العام) أو (الرمز التراثى) أو (الرمزية العامة) بالدلالة التى بيناها من قبل لا يتعارض مع مصطلح الدلالة الثقافية وإنما يمثل اصطلاحاً أخص دلالة من مصطلح (الدلالة الثقافية)؛ لأن المصطلح يشمل كل أشكال الاستخدام الفنية من أبسطها وهو الاقتباس الحرفى والكلمة المفردة التىتخص جانباً ثقافياً إلى أعقدها وهو الرمز الأسطورى وخلق الأسطورة، وهو شكل يقوم على استمداد الأجواء

---

(١) أنظر: مطاع الصفدى فى مقالته عن (الحوار مع الاسم المجهول) مجلة الفكر العربى المعاصر، عدد ١٨/ ١٩، شباط/ آذار، (١٩٨٢م)، صـ ٦.

(٢) أنظر: غراهام هو، (مقالة فى النقد)، ترجمة محيى الدين صبحى، المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون، دمشق، (١٩٧٣م)، صـ ١٣٤، ومقدمة د. ابراهيم عبد الرحمن محمد لكتاب (الرمز الأسطورى فى شعر بدر شاكر السياب) للدكتور على البطل، شركة الربيعان، الكويت، (١٩٨٢م)، صـ ١٠، ودراسة د. فايز الداية عن التراث فى الشعر المعاصر فى سورية، الموقف الأدبى، العدد ١٣٨/ ١٩، (١٩٨٢م)، صـ ٩.

الأسطورية وشخصياتها وبناء صورة جديدة شكلاً وتوظيفاً.

أما علاقة الشعر الحديث بالتراث ودلالاته ورموزه فقد بدأت مع بدايات الاتجاه الإحيائى الذى يعد البارودى (ت ١٩٠٤م) رأساً له. وانطلاقاً من البارودى نجد أن الشعر العربى الحديث مر بثلاث مراحل زمنية أو عبر عن ثلاثة اتجاهات أدبية امتد بعضها إلى فترات تالية تجاوزت المدة المعروفة لظهور الاتجاه وانحساره.

والاتجاه الأول هو ما يطلق عليه مصطلح (مدرسة الأحياء والبعث)، وبإمكان الدارس أن يلاحظ أن هذا الاتجاه امتد زمنياً من أواخر القرن التاسع عشر إلى ثلاثينات القرن العشرين وتمثل لدى البارودى وشوقى وحافظ ابراهيم بشكل بارز.

والاتجاه الثانى هو حقيقته عدة اتجاهات اتسمت بالخروج على الإحيائيين وأساليبهم، وقد ظهر معظم الحركات التجديدية فى مرحلة ما بين الحربين العالميتين وامتد إلى الخمسينيات تقريباً، وقد تمثل لدى جماعة الديوان ومدرسة أبولو وفى جوانب من شعر المهجر.

أما الاتجاهات المعاصرة فهى تمتد من بداية الخمسينيات – فى جوانب منها – وتتدخل والاتجاهات الرومانسية والتجديدية الأخرى. غير أن الحدث البارز فى الاتجاهات المعاصرة هو بلا شك ظهور (الشعر الحر) الذى تجلى فى شكل جديد، ورؤية فكرية، وتقنيات فنية مستحدثة.

وتتمثل فى الاتجاه الإحيائى العودة إلى التراث ولا سيما الشعرى واستمداده واستظهار مفرداته، والنسيج على منواله، ويلاحظ أن البارودى عاد إلى لغة الشعر فى عصور قوته وازدهاره وانتقل بذلك عبر قرون فصلت بين المحدثين من الشعراء وذلك الشعر القديم الذى ابتعد عنه المتأخرون من الشعراء وأغرقوا أشعارهم فى تزيينات شكلية لا روح فيها. ومع شوقى وحافظ اتخذت العلاقة شكلاً آخر هو التجديد داخل التراث، ولرواد هذا الاتجاه نصيب لا ينكر فى تجديد لغة الشعر؛ لأن أولئك الشعراء خطوا خطوة أخرى حين اختاروا ألفاظاً تعبر عن أحاسيسهم وإحساس العصر وروحه، وعملوا بذلك على تطويع اللغة لفنون الشعر بعد طول انزواء وانطواء فى بطون الدواوين والمعاجم.

أما شعراء الديوان فقد ثاروا برواد الإحيائيين، وأخذوا عليهم بعدهم عن الحياة الحديثة، وجهوا إليهم (تعاليم) نقدية تأثروا بها من الثقافات الجديدة. ومهما يكن من أمر فإن أصحاب الديوان وجماعة أبوبو وطوائف أخرى من الشعراء بعثوا في الشعر الحديث روح الثورة والانقلاب ومهدوا لظهور التأثيرات الأجنبية فى الشعر الحديث ونقده.

وبإمكان الدارس أن يلاحظ أن رواد الإحيائيين جروا على طريقة القدماء في الاقتباس والتضمين ولا سيما ما يتعلق منها بالآيات القرآنية والأمثال والشعر القديم. ولا شك فى أن معظم الأشكال المتعلقة بالتراث بقيت لدى الإحيائيين ضمن الجانب الشكلى دون ارتباط بالجوانب الفكرية. ومع ظهور جماعة الديوان ومدرسة أبولو أخذ تناول الآثار التراثية فى الشعر شكلاً آخر من جهة وامتد إلى تراث أجنبى من جهة أخرى.

فمن الملاحظ أن عدداً من الشعراء استمدوا المعطيات الأسطورية اليونانية والرومانية وهى المعطيات التى تقفوها من اللغات الأجنبية. وقد كان من الشعر من ينظم الأساطير ويعيدها فى شهره منقولة نقلاً إضافة فيه، ومنهم من كان يقلد الشعر الإغريقى فى توجيه الخطاب إلى ربات الفنون وآلهة الشعر والحب والجمال (١).

وقد لاحظ بعض النقاد والدارسين شيوع الإشارات الأسطورية فى شعر أكثر ما ينخدع المرء بظاهر اللفظ فى لغة من اللغات حتى يدخل تحت هذا اللفظ ما لا يدخل فيه أهل تلك اللغة أو أهل عصر بعينه.

وقد ينخدع باستعمال عصره للفظ من الألفاظ فيحمل هذا اللفظ حين يرد فى نص قيل فى عصر آخر المعنى نفسه – على أنه قد يختلف اختلافاً كبيراً. ولهذا كان من العسير أن يقال لفظ فى لغة اللفظ المقابل له فى لغة أخرى فى جميع المعانى بحيث يتطابقان فى جميع مشتملاتهما وجزئياتهما ومن هنا تأتى استحالة الترجمة الحرفية.

وهذا يقرر ويؤكد أهمية البحث فى التغير الدلالى للألفاظ وكذلك يؤكد وجود تطور مستمر على مر العصور والأزمان وفى مختلف البيئات للألفاظ ودلالتها.

لهذا فإن علم الدلالة علم هام جداً لأنه يمس حياة الإنسان فى مختلف مناحيها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية والسياسية، وما يمارسه الإنسان فى حياته اليومية من أعمال فهو يكتسب فى كل يوم معرفة جديدة وخبرة جديدة ويضيف إلى معلوماته معلومات جديدة فى كل ما يتطور وفى كل ما يستحدث فى العصر الذى يعيش فيه،

فيضيف إلى معرفته ألفاظ جديدة لمستحدثات جديدة لم يكن على علم بها من قبل ويضيف دلالات جديدة لألفاظ كانت دائماً قديمة أو يستحدث ألفاظاً قديمة لدلالات حديثة.

وهكذا نجد أن دلالة المعنى لها أهمية خاصة بالنسبة للإنسان فى حياته فهو يعيش فى مجتمع يتعامل مع أخوة له فى هذا المجتمع ووسيلتهم الوحيدة هى اللغة، الألفاظ، العبارات ولبد لهذه من معان تدل عليها ولابد من معرفة الإنسان معرفة تامة بهذه المدللولات وبهذه المعانى حتى يستطيع التعامل والعيش فى هذا المجتمع وحتى يستطيع أن يعبر عما يريد ويفهم ما يسمع.

---

(١) أنظر: أحمد زكى أبو شادى، دراسات أدبية، الحلقة(١٤٧) من سلسلة مصر وأمريكه، د. ت، صـ ٧٣ ، ٥٩، وانظر: د. على البطل، (الرمز الأسطورى) صـ ٤٤، ٤٨ ، ٥١.

المبحث الثامن : من مسايرة معاجمنا لهذا التطور اللغوى
فى ضوء علم اللغة الحديث

نماذج وأمثلة

بعد هذا لا بد لنا من إعطاء فكرة سريعة عن المعاجم العربية ودلالة اللفظ فى هذه المعاجم، وهل استطاعت معاجمنا أن تساير تطور وتغير الدلالة أم بقيت ساكنة على ما كانت عليه فى العصور الأولى حين جمعت اللغة؟

نقول من المفروض أن المتكلم بلغته القومية لا يحتاج إلى شرح ألفاظها ولكن تمس الحاجة للمعاجم لأن اللغة كما عرفنا تتطور وتتغير عبر التاريخ وفى مختلف البيئات التى يعيش فيها أهلها. فتستحدث ألفاظ وتموت أخرى، وتختص فئات مختلفة بألفاظ اصطلاحية مغلقة على غيرها من البشر كمصطلحات الجندية والبحرية والصناعة، والزراعة الخ. فيظهر فى اللغة ما يسمى الغريب وهو يحتاج إلى المعجم ليضبط نطقه ويشرح معناه، فاللغة كما قلنا أصبحت تورث كالفكر وأصبح المعجم بالنسبة لها هو الخزانة التى تحفظ هذا الميراث.

وكذلك قد يخطر بالفكر معنى لا يجد الإنسان له لفظاً يناسبه فيما وعته ذاكرته من الألفاظ فيلجأ إلى نواع خاص من المعاجم يمده باللفظ الصحيح للفكرة التى تريد التعبير عنها.

ولن أستطرد فى ذكر أنواع المعاجم التى ظهرت حتى الآن، ولكن أكتفى بذكر أمثلة من هذه المعاجم متتبعاً معنى الكلمة بها موضحاً مدى حرص أصحاب هذه المعاجم على النقل من بعضهم البعض، وتأثر بعضهم ببعض.

فليس منهم من اتجه إلى البحث فى تاريخ الألفاظ وتطورها جيلاً بعد جيل أو القيام ما قام به المحدثون فى المعاجم من التعرض إلى الناحية التاريخية أو الاشتقاقية للفظ أو الدلالة الاجتماعية للفظ.

من أجل هذا كله تقدم أحد المستشرقين وهو (فيشر) بتقرير إلى المجمع اللغوى بين فيه عيوب المعاجم القديمة وما يؤخذ عليها.

جانب من نقد المحدثين للمعجم العربى من خلال نماذج

وما يعنينا هنـــا هذا التقرير ما قـــرره (فيشـــر) بصدد البحث الـدلالى للألفاظ ففى رأيـه أن المعاجم القديمـــة قد اضطربت فـى شـــرح مـدلولات الألفـــاظ واتصفت بعد الدقـــة فى هذا الشرح (١).

كما اختلف أصحاب تلك المعاجم فى مدلولات كثير من الألفاظ ممـا أدى إلـى سوء الفهم لكثير من النصوص، كذلك يأخذ (فيشر) على معاجمنا القديمة أنها خلت من البحث فى تاريخ الكلمة وتطور الدلالة فيها وتسجيل أول استعمال لها وآخر من استعملها من الشعراء أو الكتاب حتى أواخر القرن الثالث الهجرى . حيـث انتهـت عصور الاحتجاج فلا بد من الدقة فى تحديد الدلالات والتعرض للدلالات المتعـددة للكلمة مرتبة ترتيباً تاريخياً وعقلياً على حسب تفرعها بعضها ممن بعض (٢).

فالدلالة العامة تتطور عادة إلى دلالة خاصة، والدلالة الحسية تتطور عادة إلـى دلالة مجردة. وفى الحق نجد أن كثيراً من الألفاظ فى المعاجم قـد أهمـل شـرحها فجاءت دلالتها غامضة أو مبتورة وبعدت بهذا عن الدقة التى هى من أهم صـفات المعجم الجيد، فمن مصنفى المعاجم من كان يكتفى برمز (م) أمام الكلمة مشـيراً بهذا إلى أن دلالتها معروفة فى حين أنها مجهولة، ومنهم من قنع بوصـفه الكلمـة بعبارة تقليدية عامضة كقوله (نبات فى الصحراء) أو قوله (دويبه) أو (طائر) أو (موضع) أو نحو هذا من شروح مختصرة مبتورة لا تكاد تعتبر شيئاً. والـذى يهمنا فى بحثنا هذا هو المعنى ونقسم المعنى إلى ثلاثة أنواع:-

- المعنى اللغوى
- المعنى السياقى
- المعنى الاجتماعى

- أما المعنى اللغوى فهو يشمل كل ما يمكن أن تدل به الأصوات اللغوية والتركيب اللغوى على المعنى (٣).

- المعنى السياقى: ما يوضحه سياق الحال ويشمل:-

---

(١) دلالة الألفاظ د. ابراهيم أنيس صـ ٢٤٤.

(٢) أنظر المعجم العربى نشأته وتطوره، د. حسين نصار.

(٣) المعاجم اللغوية د. محمد ابو الفرج صـ ١٢.

- صفات المشتركين فى الكلام مما يؤكد له تأثير:

- النشاط اللغوى للمشتركين
- النشاط غير اللغوى للمشتركين (الصمت ، الضحك ، الاشارة)
- الأشياء التى قد يكون لها تأثير
- أثر الالكلام (هل كانت استجابة بالكلام أو بغير الكلام)

وهناك مثل فلسطينى لتوضيح هذه النظرية فى دراسة المعنى فعبارة (الله يعوض عليك) لا تفهم لغير الفلسطينى إلا إذا شرحت فى سياقها وتكون عناصر السياق:-

- بائع ومشترى

المشترى يطلب شراء شئ ويدفع الثمن.

البائع يعطيه المطلوب ويقبض ثمن البضاعة ويقول له:

(الله يعوض عليك)

ينصرف المشترى على أثر الكلام.

العبارة ذاتها (الله يعوض عليك) مستعملة فى مصر بطريقة النطق المصرية، فاذا شرحناها اختلفت عناصر السياق.

- شخصان يعرف أحدهما بأنه حزين جداً، والآخر يحاول أن يواسيه فى الحزن يقول له (الله يعوض عليك) (ما تزعلش نفسك).
- الحزين: يقول عبارة مثل (الحمد لله)

وهكذا فان سياق الحال له تأثير مباشر على تحديد المعنى المقصود.

- المعنى الاجتماعى:

وهذا هو المعنى الذى يفهمه الفرد فى المجتمع من ألفاظ لغته، وينفق معه على هذا الفهم بقية أفراد المجتمع، ويتعلمه الأطفال إلى أن يكبروا فيفهمون لغة مجتمعهم .

ومن اللغويين من يجعل المعنى العجمى محصوراً فى المعنى اللغوى ولكن العادة جرت على أن يوضح المعجم المعنى الاجتماعى وأن يجعله الأساس فيه، وهو يوضح بعض المعنى اللغوى وخاصة ما يتركه النحو ما يكون شاذاً، وقد يشار فيه ما يوضح المعنى السياقى.

أقول أن لكل كلمة من كلمات اللغة لها دلالة معجمية اجتماعية، تستقل عما يمكن أن توحيه أصوات هذه الكلمة أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الدلالة الأساسية التى يطلق عليها الاجتماعية.

فكلمة (الكذاب) تدل على شخص يتصف بالكذب وتلك دلالتها الاجتماعية أقول أنه يجب أن توجه العناية فى المعاجم إلى الدلالات الاجتماعية وأن تتخذها هدفاً وأساساً لما للدلالة الاجتماعية من أهمية ولأنها تعطى المعنى الاجتماعى الذى يريده الفرد.

وأورد هنا مثالاً لما اتفقت عليه المعاجم فى شروحها وتفسيرها لمعانى الألفاظ مرتبة ترتيباً تاريخياً. فلو أخذنا كلمة (الرعاف) نرى ما جاء فى شأنها بمعاجمنا القديمة مرتبة على النحو التالى:

نماذج وأمثلة تطبيقية

- الجمهرة لابن دريد: رعف الرجل يرعف، ويرعف رعفاً والاسم الرعاف، والرعاف الدم بعينه وأصل الرعف التقدم من قولهم فرس راعف أى متقدم فكان الرعاف دم سبق فتقدم.

قال الشاعر الأعشى:

به يرعف الألف (١) اذا ارسكت غداة الرهان اذا النقع ثارا

- تهذيب اللغة للأزهرى: وقيل للدم الذى يخرج من الأنف رعاف لسبقه علم الراعف.

وقال الليث الراعف أنف الجبل وجمعة الرواعف والراعف طرف الأرنبة.

أبو عبيد والأصمعى رعف (كمنع ونصر).

أبو حاتم عن الأصمعى رعف (كمنع ونصر).

ولم يعرف رعف ولا رعف فى فعل الرعاف.

- الصحاح للجوهرى: (الرعاف) الدم يخرج من الأنف وقد (رعف) يرعف كنصر ينصر (ورعف) بضم العين لغة فيه ضعيفة.

والراعف: الفرس الذى يتقدم الخيل.

والراعف طرف الأرنبة وأنف الجبل.

---

(١) من جمهرة اللغة جـ ٢ صـ ٣٨٠.

الأنف هكذا فى الجمهرة.

- (لسان العرب لابن منظور) الرعف: السبق: ورعفه يرعفه رعفاً: سبقه.

والرعاف: دم يسبق من الأنف رعف يرعف ويرعف رعفاً ورعافاً.

ورعف ورعف قال الأزهرى ولم يعرف رعف ولا رعف فى فعل الرعاف.

قال الجوهرى ورعف بالضم لغة فيه ضعيفة والراعف: الفرس الذى يتقدم الخيل.

والراعف: طرق الأرنبة والراعف أنف الاجبل.

- القاموس المحيط للفيروزبادى: رعف كنصر ومنع وكرم وسمع رعف خرج من أنفه الدم – رعفا ورعافا كغراب.

والرعاف أيضاً الدم بعينه، ورعف الفرس كمنع ونصر وسبق.

والراعف طرف الأرنبة وأنف الجبل والفرس بتقدم الخيل.

من نقد المحدثين لهذه المعاجم العربية المذكورة

أن معظم من وضعوا المعاجم قد نقلوا عن بعضهم البعض ونلمس أيضاً من هذه المعانى أنها لم تساير التغير الدلالى للألفاظ وما يصاحبها من تطور حضارى واجتماعى ولم نجد منهم من يقول رعف بمعنى سال الدم، وهو المتعارف عليه اجتماعياً.

ونورد هنا بعض النقاط الهامة فى معالجة المعاجم اللغوية كما أوردها الدكتور محمد أبو الفرج مترجمة عن مؤتمر اللغويين والمعجميين عقد فى جامعة أنديانا بامريككا فى نوفمبر سنة ١٩٦٠.

يجب أن نأخذ المعجم فى الاعتبار نوعاً خاصاً من المستعملين له وحاجاتهم فمثلاً قاموس انجليزى – عربى ليساعد غير المتحدثين بالعربية على معرفة العربية.

لا بد أن تكون كل المواد واضحة الترتيب فى موضعها وتوضع الصيغ الشاذة كمواد قائمة بنفسها إن أمكن، وإلا فيشار إلى موضعها فى المادة الأصلية.

لابد أن توضح الخصائص النظمية الأساسية لكل مادة من أنواع التفاعيل، حروف الجر، ألخ.

يجب الأشارة بدقه إلى المستويات المختلفة للاستعمال إن وجدت، لغة التأدب، العامية، الفاحشة، الخ. وهذا يجب فى حالة اللهجات وما شابهها.

من المستحب إعطاء إيضاح كامل للدلالة، وإن أمكن، نوضح الأضداد والمرادف والمشترك اللفظى.

التمييز بين المعانى الثانوية على اساس لغوى (١) وأضيف هنا بند آخر وهو:-

ضرورة إيجاد معجم مصور وهو شئ ناقص في معاجمنا العربية، حيث توضح الصورة أحياناً ما يغمض على الإنسان، وتكون عاملاً مساعداً على فهم المعنى.

وبعد وأمام هذا كله يتبين لنا ما نعانيه من نقص معجمى فى لغتنا العربية اذ ما زلنا نعيش فى هذا الميدان فى الصورة الوسطى عالة على الفيروز بادى ولسان العرب نكرر ما جاء فيهما ولا نزيد فيه إلا النزر اليسير.

وأقول أن المعنى الكلاسيكى المتبع فى معاجمنا لا يخدم المعنى الاجتماعى ولا يأخذ فى الاعتبار الحالة الاجتماعية التي قيلت فيها: اللفظة أو استعملت. فالحالة الاجتماعية والنفسية مرتبطة ارتباطاً تاماً بالمعنى فكثير ما نسمع ألفاظاً فى حالة نفسية معينة تعطى انا معنى مغاير لو سمعناها فى حالة نفسية أخرى ومغايرة للحالة الأولى. فلو سمع الإنسان كلمة مثل (ثدى) وهو فى حالة نفسية معينة فمثلاً لأثارت فى نفسه الغرائز والهواجس، ولكن لو سمع الكلمة فى حالة أخرى مثلاً لو رأى امرأة وهى ترضع ابنها من ثديها وهى فى حالة بؤسوشقاء لكان لذلك أثر مغاير فى نفسه. ونجد أن كلمة (ثدى) ستوحى له بالشفقة والعطف والرحمة على هذه المرأة التى ترضع وليدها فى حالة البؤس، أقول أن المعنى الاجتماعى والمعنى العاطفى يغاير تماماً المعنى المعجمى الكلاسيكى القديم.

أقول أن دلالة المعنى فى المعجم يجب أن تهتم بالناحية الاجتماعية والنفسية وأن تراعى العوامل المؤثرة فى دلالة الألفاظ وما يطرأ عليها من تغير نتيجة لهذه المؤثرات.

ولقد وضع علماء المسلمين ألفاظاً أو بدلوا معانيها الأصلية لها معان جديدة ثم أصبح لتلك المعانى شروط وحدود ذكروها فى كتبهم مثال ذلك، الحج، الزكاة، النكاح، الوضوء، اليتيم، الحضانة، النفقة، وإحياء الأرض الموات، وأرض العشر، وأرض الخراج وغير ذلك كثير (٢).

وهناك الألفاظ الإدارية التى استحدثت لما امتدت الفتوحات واتسعت رقعة الدولة، لقد مست الحاجة إلى مصطلحات إدارية وسياسية فحوروا معانى بعض الألفاظ العربية حتى

---

(١) المعاجم اللغوية د. محمد ابو الفرج صـ ٢٢.

(٢) اللغة كائن حى: جورجى زيدان صـ ٦٥ – مراجعة: كامل مراد.

صارت تفى بالأغراض المطلوبة وضمنوها معنى إصطلاحاً جديداً غير المعنى الذى كانت تعرف به فى الجاهلية، واقتبسوا بعض المصطلحات من الألفـــاظ الأعجميـــة التى كانت شائعة فى البلاد المفتوحة.

وحدث مثل ذلك فى مصطلحات القتال، كالدبابة والعرادة، والكبش والمنجنيـــق، والمتطوعة، والمسترزفة.

وفى المصطلحات المالية مثل: الجباية ، والمكس ، والســـكة ، والراتـــب ودار الضرائب ، والضمان ، والمكوس ، وغير ذلك كثير.

نقول أن معظم هذه الألفاظ أصبحت تدل على مستحدثات جديدة لم تكن معروفة فى العصر الجاهلى.

خاتمة

وفيها أهم النتائج والنظريات العلمية المسجلة فى هذا البحث

لك هى أهم النقاطات والنتائج العملية التى سجلتها فى هذا البحث مشيئة الله تعالى:

- تحدثنا عن العوالم المؤثرة فى تطور الدلالة اللغوية وعن مفهوم الدلالة اللغوية لدى المحدثين.
- ثم عرضنا الدلالة اللغوية عند بريل ومن جاء بعده بفترة قصيرة وأن بريل فى الأصول التى تحكم تغيير المعنى خصائص عقلية مجردة وذلك مثل الحاجة إلى الوضوح وأن بريل ومن خلفه كانوا لا يعطون الجوانب الاجتماعية وغير الاجتماعية للظروف الإنسانية التى يحدث فيها التغير أى اهتمام.
- ثم وضحنا أن متعلقات النبل والفروسية فى العصور الوسطى كانت تتجمع فى صورة رجل راكب جواداً هو الفارس فكان لهذه الكلمة أن أصبحت أصلاً لكلمات كثيرة هى النبل والشهامة والفروسية والشجاعة والقوة.
- ثم وضحنا أن مشكلة المعنى دفعت الأستاذ بردجمان إلى أن يقترح وسيلة جديدة فى التعريفات سماها طريقة العمليات أو الإجراءات وأن هذه الطريقة طبقها على أمثلة كثيرة فى كتاب آخر له هو الفرد الذكى.
- ثم تكلمنا عن القصد والقيمة والمدلول والانفعال العاطفى وأثر ذلك فى تحديد المعنى اللغوى.
- ثم تكلمنا عن العلاقة بين الكلمة والفكرة وقلنا أن بينهما ارتباط متبادل أو علاقة متبادلة بين الكلمة وهى الاسم وهة الصورة السمعية، وبين الفكرة.
- ثم تكلمنا عن جانب من معطيات الحياة اللهجية وبينا أسباب نشأة اللهجات وعرفنا اللهجة وتكلمنا عن العادات الكلامية وقسمناها إلى أقسام وأنواع منها ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها ومنها ما يتعلق ببنية الكلمة وكيفية نسجها، ومنها ما يتعلق بتركيب الجمل.

- وتكلمنا عن الأشياء التى تجعل اللهجات تتناسب وكذلك الأشياء التى تجعل اللهجات تتباعد بأسلوب سهل مبسط.
- ثم تكلمنا عن أثر البيئة والطبيعة فى التشكيل اللهجى بأسلوب سهل ميسر.
- ثم بينا جانباً من معطيات التطور اللهجى بأسلوب سهل ميسر وذلك من خلال نماذج وأمثلة تطبيقية ووضحنا أن العلماء اتفقوا على أن لهجة قريش هى أعلا اللهجات وأقواها لأسباب موضحة ومذكورة فى هذا البحث.
- ثم تكلمنا عن جانب من اللهجات العربية ومنها العنعنة، والكشكشة، والكسكسة، وأثر ذلك فى التطور اللهجى على سبيل المثال لا الحصر.
- ثم تكلمنا عن أثر الاختلاف فى الحركات فى التطور اللهجى كقولهم نستعين ونستعين بفتح النون وكسرها وذكرنا رأى الفراء حيث قال هى مفتوحة فى لهجة قريش وأسد وغيرهم يقولونها بالكسر.
- وتكلمنا عن الإبدال اللهجى فى الحروف كقولهم أولئك وأولالك، وكقولهم أن زيد وعن زيد.
- ومن ذلك الاختلاف: الهمز والتليين نحو مستهزؤن ومستهزون.
- ومن ذلك الاختلاف فى التقديم والتأخير كصدرت وأصدرت، وصاعقة وصاقعة.
- ومن ذلك الاختلاف فى الإمالة والتفخيم مثل قضى ورمى فبعضهم يفخم وبعضهم يميل.
- ومن ذلك الاختلاف فى الإدغام نحو مهتدون ومهدون.
- ومن ذلك التضاد مثل كلمة ثب بمعنى أجلس عند حمير وهذا ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر لنوضح أن للهجات دور هام فى التطور اللغوى.
- وذكرنا جانباً من معطيات التطور الدلالى وأسباب ذلك فى عجالة حتى لا نخرج عن موضوع بحثنا هذا.
- ثم تكلمنا التطور الدلالى ووضحنا أنه يحدث تدريجياً وحسب التطور الاجتماعى وذكرنا طرفاً من أسباب ذلك على سبيل المثال لا الحصر.

- ثم تكلمنا عن جانب من معطيات القراءات القرآنية واشارتها إلى اللهجات على المستوى الدلالى وذكرنا نماذج وأمثلة تطبيقية على سبيل المثـــال لا الحصر.
- ثم تكلمنا عن جانب من معطيات التقافات اللهجية على ســـبيل المثـــال لا الحصر.
- ثم ذكرنا جانباً من معطيات السلب فى العربية وبينا أثر ذلك فـــى إثـــراء العربية على سبيل المثال لا الحصر.
- وبينا أنواع السلب وصوره بذكر نماذج وأمثلـــة علـــى ســـبيل المثـــال لا الحصر.
- وبينا جانباً من معطيات التطور اللفظى للمعنى اللغوى وذلك مـــن خـــلال نماذج وأمثلة تطبيقية على سبيل المثال لا الحصر.
- ثم تكلمنا عن جانب من معطيات العلة اللغويـــة وهـــى تســـمية الألفـــاظ بمسمياتها ودقتها فى التعبير من خلال نماذج وأمثلة تطبيقية.
- ثم تحدثنا عن تعبير الألفاظ عن مسمياتها بدقة وحسن بيان وضربنا لـــذلك نماذج وأمثلة تطبيقية.
- ثم تحدثنا عن موقف علم اللغة الحديث من هذه القضية وذلك مـــن خـــلال نماذج وأمثلة.
- ثم تحدثنا عن موقف المحدثين من البحث العجمى
- ثم تحدثنا عن جانب من نقد المحدثين لمعاجمنا العربية من خـــلال نمـــاذج وأمثلة.

وبالله التوفيق

المصادر والمراجع

- الأصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس الطبعة الثالثة بالقاهرة.
- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانىطبعة القاهرة ١٣٤٧ه.
- الأمالى لأحمد بن فارس طبعة القاهرة الطبعة الأولة.
- التنبيع على حدوث التصحف لحمزة بن حسن الأصفهانى تحقيق محمد حسن آل ياسين بغداد ١٩٦٧م.
- الحوار من الأسم المجهول للصفدى بيروت عام ١٩٨٢م.
- الخصائص لأبى الفتح ابن جنى طبعة القاهرة ١٩٩٧م دار الإذاعة القاهرة مجلة الشعر.
- الدلالة الثقافية للألفاظ فى الشعر د. فاطمة محجوب عام ١٩٧٧م.
- الرمز الأسطورى فى شعر بدر شاكر السياب. دكتور على البطل طبعة الكويت عام ١٩٨٢م.
- الصاحبى فى فقه اللغة لأحمد بن فارس القاهرة الطبعة الأولى.
- الصحاح للجوهرى طبعة القاهرة عام ١٩٩٧م.
- العقلية العربية بين الحربين لعلى حاج بكرى دمشق عام ١٩٩٧م.
- اللغة كائن حى جوجى زيدان طبعة القاهرة ١٩٦٧م.
- اللغة والمجتمع د. محمود السعران القاهرة الطبعة الثانية.
- المعاجم اللغوية د. محمد أبو الفرج القاهرة الطبعة الأولى.
- المعجم العربى نشأته وتطوره د. حسين نصار القاهرة الأولى.
- المزهر فى علوم اللغة لجلال الدين السيوطى طبعة القاهرة الطبعة الثانية.
- المعرب للجواليقى طبعة القاهرة عام ١٣٧٣ه.
- النصوص اللغوية د. مازن المبارك القاهرة دار الفكر العربى.
- اللهجات العربية ابراهيم أنيس الطبعة الثانية القاهرة.
- اللهجات العربية د.عبده الراجحى القاهرة الطبعة الأولى.
- تاريخ آداب اللغة العربية لجورجى زيدان الطبعة الثانية القاهرة.

- تطور الصورة الفنية فى الشعر العربى الحديث د. نعيم اليافى طبعة دمشق عام ١٩٨٣م.
- جمهرة اللغة لابن دريد طبعة القاهرة الطبعة الثانية.
- خزانة الأدب للبغدادى القاهرة الطبعة الأولى.
- دور الكلمة فى اللغة لأولمان طبعة القاهرة الطبعة الأولى ترجمة د. كمال بشير.
- دراسات أدبية لأحمد زكى أبو شادى بيروت عام ١٩٩٢م.
- دلالة الألفاظ د. ابراهيم أنيس طبعة القاهرة الطبعة الثانية.
- ديوان امرؤ القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابـراهيم طبعـة القـاهرة دار المعارف الطبعة الأولى.
- ديوان أوس ابن حجر القاهرة عام ١٣٣٧ه.
- ديوان ابن الرومى القاهرة الطبعة الثانية.
- ديوان الشماخ معقل ابن ضرار شرح الشنقيطى القاهرة ١٣٤٧ه.
- ديوان الفرزدق طبعة القاهرة ١٣٥٧ه.
- ديوان المتنبى طبعة القاهرة الطبعة الثانية.
- ديوان النابغة طبعة القاهرة الطبعة الأولى.
- ديوان جميل بثينة طبعة القاهرة ١٣٤٧ه.
- ديوان ذى الرمة طبعة القاهرة الطبعة الأولى.
- ديوان عبيد بن الأبرص طبعة القاهرة ١٣٣٧ه.
- سر صناعة الإعراب لابن جنى القاهرة ١٣٥٧ه.
- شرح النووى طبعة القاهرة علم ١٣٥٣ه.
- صبحى الإسلام لأحمد أمين القاهرة الطبعة الثانية.
- طبقات النحويين واللغويين للزبيدى القاهرة عام ١٣٢٧ه.
- علم اللغة: د. على عبد الواحد وافى القاهرة لطبعة الثانية.
- علم اللغة مقدمة للقارئ والعربى د. محمود السـعران القـاهرة الطبعـة الأولى.

- فقه اللغة وخصائص العربية د. محمد المبارك القاهرة عام ١٣٩٧ه.
- قاموس مصطلحات الأنثلوجيا والفلكلور تأليف ايله هولتكرانس ترجمة د. محمد الجوهرى القاهرة ١٩٧٢م.
- لسان العرب لابن منظور الأفريقى الطبعة الثانية بالقاهرة.
- مجالس ثعلب طبعة القاهرة عام ١٣٤٧ه.
- مجلة المجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون دمشق العدد ١٠٣٣ عام ١٩٧٣م مقالة فى النقد لغرام هام ترجمة د. محيى الدين صبحى.
- محاضرات فى الألسنية العامية د. سوشير ترجمة د. يوسف غازى طبعة لبنان ١٩٨٤ه.
- محاضرات فى علم النفس اللغوى د. حنفى عيسى القاهرة عام ١٩٩٧م.
- من أسرار اللغة د. ابراهيم أنيس القاهرة الطبعة الأولى.
- نشوء اللغة العربية ونموها والتماس لأنستاس مارى الكرملى طبعة القاهرة عام ١٩٣٨م.
- نظرية الأدب لرينيه ترجمة د. محيى الدين صبحة طبعة بيروت الطبعة الثانية عام ١٩٨١م.
- وفيات الأعيان لابن خلكان طبعة القاهرة الطبعة الثانية.